روايات عبير

أريد حبه

www.elromancia.com

مرمورية

No. 007

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

أريد حبه

❖ أحبته ولكنها فقيرة وتعيش فى كنف خالها الغنى البخيل. ومات خالها وهو غاضب عليها تاركاً وصية جديدة يحرمها فيها من الميراث. وعثرت على الوصية، ووجدت نفسها بين نارين إذا أخفتها ظفرت بالثروة وبالحبيب فى وقت واحد، وإذا اظهرتها فقدت الثروة والحبيب الذى يطمع فى ثروتها فماذا تفعل؟

I.S.B.N. 977-5346-68-1

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١٫٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١٫٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

No.007

روايات عبير

أريد حبه

www.elmaktabeta.com
مكتبة مصرية

روبى ايرز

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الفصل الأول

نهض دادلى فين عن المائدة، واجتاز الغرفة وهو يجر قدميه، وفتح الباب وصفقه خلفه. أرهفت الفتاتان ـ اللتان كانتا تجلسان، احداهما على يمينه، والأخرى على يساره، اثناء تلك الوجبة الشاقة ـ أذنيهما. وأنبأهما اصطفاق باب آخر انه دخل غرفة مكتبه وتركهما تنعمان بالهدوء بقية الأمسية.

نهضت اكبر الفتاتين عندئذ وهى تطلق تنهيدة قصيرة، ومضت الى الشرفة، وفتحت درفتيها بعد ان رفعت الستائر السميكة، وكان القمر قد بدا فنشر نوره فى الحديقة.

وقالت تلك التى بقيت جالسة:

- لا أستطيع أن أفهم كيف تطيقين هذه الحياة يا أديث.

تمتمت الاخرى فى ضجر، وهى تلصق جبينها بأحد الألواح الزجاجية:

- لن أستطيع أن اطيقها طويلا. بلى اننى اوشكت الليلة

ان أصرخ من فرط الانفعال وأن ألقى بالملاحة فى وجهه.

وتحولت، وفى عينيها وميض وقالت:

- إنه ليس رجلا... إنه وحش.

ارتجفت صديقتها، ونظرت إلى الباب كما لو أنها تخشى أن تراه ينفتح ويدخل منه دادلى فين المخيف. ونهضت واقتربت من أديث وسألتها قائلة:

- ولماذا تبقين هنا؟

ضحكت هذه الأخيرة ضحكة مريرة وأجابت:

- إذا قلت لك ذلك فسوف تنزعجين.

ثم تخلت عن تحفظها المتعالى، وأمسكت بنورا من كتفيها فى وقاحة وقالت:

- إننى باقية مع خالى لأننى أعرف أنه سيترك لى ثروته.. هل روعتك الآن؟

- كلا. ولكن ماذا لو أنه لم يترك لك شيئا؟

قطبت أديث حاجبيها وقالت:

- سيترك لى كل شىء، وأنا على يقين من ذلك. ورغم ذلك فأنا لست واثقة على ماذا أبنى يقينى هذا، فهو يكرهنى، وهذا واضح لكل ذى عينين. ولكن هذا لا يهم فأنا

وريثه الوحيدة بالطبع، وليس له أقارب آخرون ولا أصدقاء.. أوه.. نورا أليس من الفظاعة ان تعرفى انه لا يطيق أى شخص فى العالم وأنه لا يهتم بى سواء كنت على قيد الحياة أو ميتة.

- نعم. اعتقد ذلك فى الواقع.

- تعتقدين ... تعتقدين ...

ورفعت اديث رأسها نحو السماء:

- لا تنسى أن هذه هى حاله طوال حياته.. فكرى فى هذه الحياة الفاسدة.. لم يوح إليه أحد بالحنان قط، ولم يحن على نفسه ايضا.. لم يشعر بأى انفعال إنسانى، بل انه لن يحس بمعنى جمال سنا القمر مساء يوم من أيام الخريف لأنه لا يفهم هذا المعنى. ينبغى أن يعرف ما هو الحب.

وكان صوتها قد أصبح عذبا جدا وهو يخبو، وبدا أنها نسيت وجود نورا. وتأملتها هذه الأخيرة فى عطف مشوب بالدهشة، فقد حيرها طبع صديقتها، فمنذ لحظة قبلت فكرة حياة لا تطاق فى سبيل غرض خاص، ولكن إذا بها الآن تمتدح جمال الكون وتغدو عاطفية. ولمست نورا ماندر ذراعها فى حياء وقالت:

- أليس لك أى غرض آخر فيما عدا الميراث؟

www.elromancia.com

أجفلت أديث، وقد ردت إلى عالم الواقع، واصطبغت وجنتاها بصبغة خفيفة. ولكنها لم تتهرب، وقالت:

- ما كنت لاعترف بذلك لأى أحد آخر غيرك.. إن وجود جيوفرى يحتجزنى هنا.

- هل تنوين أن تتزوجيه؟

- إذا طلب منى ذلك.

مر ظل على وجه اديث وقالت:

- نعم. إذا ورثت خالى.

- ولكن... ان هذا ليكون فظيعا، اعنى إذا لم يتزوجك إلا من أجل المال... فكيف تقبلين وأنت تعلمين ذلك؟!

بدت ضحكة اديث مفتعلة وهى تقول:

- هذا جنون... ان لى عقلية خاصة، واننى اعرف إلى أى حد هو أنانى وغير موضوعى، ومع ذلك...

وومض وميض فى حدقتيها وهى تستطرد قائلة:

- أننى أفضله على جميع الرجال قاطبة.

- آه... لم تكذب الحكمة التى تقول إن الحب أعمى.

تحولت اديث إلى الشرفة، وضاع بصرها فى المدى

البعيد، ثم قالت فى رفق:

- هناك حكمة أخرى، فهل تعرفينها؟ ... انها تقول ان الحب ليس أعمى فان له عينين يرى بهما المحبوب على حقيقته... ولكن دعينا من هذا الجدل فاننى صدمت احساسك وقد لا تعودين.

- بل سوف أعود... طبعا.

- هذا أفضل، لأنك الوحيدة التى يسمح لى خالى بدعوتك إلى العشاء.

خيم بين الصديقتين صمت ثقيل، وراحت كل منهما تفكر فى سيد قصر ماسنجهام الرهيب.

كان رجلا قاسيا، صارما، حقودا، صلبا، لا يترك أية فرصة كى يهين ابنة أخته... لا تسمح له وشائج القرابة التى تربط بينه وبين ابنة اخته بأى تسامح أو أية مودة، فعندما ماتت أخته قال فين إن زواج الفقراء ينتهى دائما نهاية سيئة. وعندما مات أبو اديث بعد ذلك بسنة تكفل الاعزب الثرى باليتيمة فى أنفة وكبرياء، ورباها وهو يقتر فى النفقات بقدر استطاعته. وما أن ترعرعت وكبرت وبلغت سن الذهاب إلى المدرسة حتى ألحقها بمدرسة داخلية، حيث مكثت فيها حتى السابعة عشرة من عمرها. ولا ريب أنه ما كان الا لينساها لو لم تذكره المديرة بأن الفتاة قد اتمت

www.elromancia.com

دراستها وانها تطالبه بأن يستردها .وعلى ذلك أقبلت اديث رينولدز للاقامة فى ماسنجهام حيث مضت فيها عشر سنوات من حياتها مفطومة عن كل مرح الشباب ومسراته. وبدت طبيعة فين جافة كل الجفاف وجاحدة كل الجحود، كما تجفف الريح الباردة بواكير زهور الربيع. ولم يكن يسمح لابنة اخته بأن ترى احدا فيما عدا نورا ماندر ابنة القسيس، متعللا بأن الفتاة الفقيرة لا يجب ان يكون لها اصدقاء ما دامت لن تستطيع ان ترد الدعوات.

وقالت نورا، لتبديد الضيق الذى تحس به كل منهما:

- يبدو أن مستر فين مريض.

- انه يبدو مريضا دائما. سمعته ألف مرة يقول إن ساعته الاخيرة قد أوشكت.

وراحت اديث تضحك ثم هتفت بدون تمهيد:

- أوه، ما كان يجب أن اتكلم هكذا .. إن هذه الحياة... هذه الحياة الكئيبة تثير جنونى.

واحتبس صوتها فى حلقها، وتوقفت وقد ادارت رأسها نحو الشرفة المفتوحة.. فقد ظهر شاب طويل القامة فى الحديقة، واستطال ظله بصورة كبيرة فوق المرجة. واصطبغ وجه اديث وسطع وميض خاطف فى عينيها وأسرعت إلى

النافذة الكبيرة وفتحتها وقالت:

- لا أجرؤ على ان أدعك تدخل هنا فلو عرف خالى.. ولكن، ما الخبر؟

وكانت تتكلم فى صوت خافت مرتعش. وراح الزائر غير المتوقع يضحك ثم قال:

- لا شىء خاص. كنت مارا بالطريق ورأيت صالة الطعام مازالت مضاءة، فخطرلى ان آتى وأقدم اليك تحياتى. اتمنعيننى من دخول هذه الجنة حقا؟

- لا أجرؤ يا جيوفرى.

- ولكننى لا أخشى الخال فين ابدا.

- ولكنك لست مكانى.

قطب حاجبيه خفية. كان شابا فى الثلاثين من عمره، طويل القامة، نحيل الجسم.. لم يكن يرتدى معطفا ولكن ثيابه كانت تدل على اناقة طبيعية، ويمسك فى يده سيجارا، دخن نصفه، تعطر رائحته الذكية الجو. وتقدمت الآنسة ماندر وقالت:

- اننى راحلة. ولكنك وعدتنى ان تشيعينى حتى الباب.

قالت اديث فى ايجاز:

www.elromancia.com

- أوه.

ثم تحولت إلى ذلك الذى دعته جيوفرى وقالت له:

- هل لك أن تنتظر فى الحديقة.

أومأ برأسه موافقا، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة، وابتعد على الفور. وصعدت الصديقتان فى سكون إلى الطابق الأول، حيث مضت نورا لكى تأتى بحاجياتها، وقد ضايقتها فرحة صديقتها الظاهرة عندما رأت جيوفرى براون، ولزمت صمتا يدل على عدم موافقتها، فقد كانت تعرف الشاب معرفة سطحية، وتعرف سمعته على الخصوص، حيث اجمع الجميع على ان له روحا طائشة وانه يترقب الفرصة للزواج بوارثة، خاصة بعد ان بدد أبوه ثروة طائلة، وفقد جيوفرى امه وهو لا يزال طفلا وأهمل أبوه تربيته. وبدلا من ان يشتغل بكل جد كما يقول القسيس كان يساعد فى تحرير مجلة ثقافية وهو عمل غير مربح وغير مستقر.

وألقت اديث شالا فوق كتفيها وقد اصطبغ وجهها وتألقت عيناها. وقالت نورا أخيرا:

- لو يعرف مستر فين..

كانت ترتعش وهى ترى فى الخال دادلى غول حكايات الاطفال المتحفز دائما فهو على استعداد لأن يفترس عند

أقل حماقة.

- انه لن يعرف شيئا، فهو لا يعلم أننى أعرف جيوفرى.

وهبطت الفتاتان فى خطوات خفيفة. واجتازتا البهو على اطراف أقدامهما، وغادرا البيت. وكان براون ينتظرهما أمام باب الحديقة. وقال:

- لو أننا كنا اثنين لا ثلاثة لبدا ذلك اختطافا بالذات فى العهد الرومانسى، فالليل جميل والقمر بدر والحبيب بالباب والحبيبة تهرب من البيت الذى تضطهد فيه.

وانفجر ضاحكا وهو ينظر إلى اديث، وتمتمت نورا ماندر فى لهجة جافة لانها غضبت لوقاحة رفيقهما:

- ما كنت لأرضى أن اعيش فى ذلك العهد.

وأسرعت الخطى زاعمة انها تحس بالبرد. وتوقف الشبان الثلاثة أمام بيت القسيس، وتبادلوا المصافحات اليدوية فى صمت. وعندما دخلت نورا البيت الأبوى، قال جيوفرى فى لهجة ساخرة:

- ان نورا ماندر لا تطيقنى.

- ما هذا القول؟!

- بل أنت تعرفين ذلك جيدا. ولكن هذا لا يهم هل

www.elromancia.com

أستطيع أن ادخن؟

- لامانع.

وأشعل سيجارا جديدا وعادا إلى قصر ماسنجهام فى خطوات بطيئة وكانت الليلة صافية والجو دافئًا والنسيم هادئا لا يحرك أوراق الشجر.

وسألها الشاب:

- هل من جديد؟

ارتجفت اديث وقد أفاقت من الحلم اللذيذ الذى تحلم به وهى الآن فى اليقظة، وقالت:

- لا شىء. كان خالى أسوأ بالطبع مما هو فى العادة، وقد اوشكت اثناء العشاء أن ألقى بالملاحة فى وجهه. اوه، لا يجب ان اتكلم هكذا.. ان نورا تلومنى وأعرف ذلك.

- ان نورا ماندر لا يروق لها كل ما يخرج عن المألوف، ولا تريد ان تعترف بحقائق الحياة.

- ولكنها صديقة مخلصة.

- انها تافهة شيئا ما. أحب ان تكون المرأة على شىء من الحيوية، وان الحياة معك تكون لها لذتها فى حين انها تصبح معها رتيبة لا يمكن احتمالها. وأنا على يقين من أنها لن

تشعر ابدا بالرغبة فى ان تلقى شيئا فى وجه رجل.

وراحا يضحكان. وقالت اديث:

- إن نورا لم تعش مع الخال دادلى عشر سنوات.

- وأرجو أن لا تعيشى معه اكثر من ذلك.

رفعت اديث عينيها إلى الشاب ثم خفضتهما على الفور وراح قلبها يركض بين ضلوعها فى صوت أصم، وهى تردد على نفسها فى قسوة انه كثيرا ما نطق بتلك الكلمات فهل يمكنها ان تعلق اهمية كبرى على قوله هذا؟ وعقد قلق خفيف على حلقها. فلو ان جيوفرى لم يكن يرى فيها وارثة دادلى فين لما فكر فى الزواج منها، حتى اذا كان يحبها. كانت اديث تجهل مشاعر جيوفرى نحوها، ولم تكن تعرف غير شىء واحد، وهو انها تحبه حب جنون.

وتمتمت اخيرا لكى تقطع حبل صمت مرهق:

- نعم. إننى أعيش مع خالى منذ عشر سنوات.

- حقا؟ ... ولم نتعارف الا منذ..

- عشرة أسابيع.

تذكرت بالتقريب تاريخ أول لقاء لهما وبلغا قصر ماسنجهام، فتوقفت وقالت:

www.elromancia.com

- لا تتقدم أكثر من ذلك، فلو ان خالى رآك...

- أهو نمر اذن؟

تهربت عينا الفتاة منه، وانتقلتا إلى السماء التى تنتثر بها النجوم. وسقط شعاع من القمر على وجهها بالذات. وذهل جيوفرى فجأة من فرط جمال وجهها المعبر، وأدهشه ان يلاحظ ذلك لأول مرة.. وراح يتأمل فى اعجاب ملامحها الثابتة والرقيقة وتقوس شفتيها الجميلتين وعلى غير وعى منه تقدم وانحنى فوقها وقبلها.

والحق يقال ان جيوفرى لم يعلق اهمية كبيرة على هذه القبلة اما بالنسبة لاديث التى لم تتلق اية قبلها الا فى المنام، فقد كان الامر لها اكتشافا مذهلا، فعندما اعتدل ارتدت مترنحة، وقد اتقدت عيناها بشعلة ملتهبة. وشعر جيوفرى بانفعال غريب وأحس بنبضات قلبه تتسارع، فبسط يده وقال:

- أديث!

ولكنها افلتت منه وارتقت الطرقة وهى تعدو واختفت عن نظره. وإذ بلغت البيت، دفعت الباب، وكان قد بقى مفتوحا. ووجدت نفسها أمام دادلى فين. واكتشفت عينا العجوز الصغيرتان الثاقبتان اثر انفعال حديث فى وجه ابنة اخته فضحك ضحكة شيطانية وقال:

- إذن فقد قبلك أخيرا؟

لزمت اديث الصمت من فرط الذهول. كان اذن على علم بلقاءاتها مع جيوفرى براون التى تخفيها عنه بكل حرص. ويعرف السر الذى تحرص عليه حقا.

ودعك فين يديه وهو فريسة لنشوة كبيرة وقال:

- أنا لست أعمى يا صغيرتى هيا. دعيه يغازلك كما تشائين، فأنا لا أريد ان افسد حبك رغم ان كلمة حب ليست فى موضعها، لأن الأمر يتعلق بشاب غريب يجرى وراء ثروة مقبلة لوارثة. ولكن لا تعتمدى على ذلك كثيرا فشتان بين الواقع والمتوقع.. نعم شتان بين الواقع وبين ما يتوقعه هو.

وابتعد فين وهو يضحك ساخرا. ولم تتحرك اديث المسكينة، فقد استولى عليها ذعر متزايد.

وا أسفاه! كيف توهمت انها تستطيع احباط مراقبة مثل ذلك الرجل. كيف استطاعت أن تعتقد أن بمقدورها ان تخدع رجلا مثل هذا الشيطان. ان ذلك التهديد له معناه الواضح. سوف يحرمها من الميراث لكى يقوض سعادتها لان الوحش يعرف ان براون لن يتزوجها اذا كانت فقيرة.

وعندما صعدت إلى غرفتها فتحت درفتى النافذة واعتمدت بمرفقيها على حافتها وراحت تتأمل الحديقة التى

www.elromancia.com

تغمرها اشعة القمر الفضية وعندئذ راحت تبكى، وصاحت بين شهقتين وهى تتخذ الطبيعة شاهدا:

- أوه.. إننى أحبه كثيرا.. كثيرا.

واستولى عليها التعب أخيرا والارهاق، وتولاها الاضطراب، ورقدت وهى تطلب النوم عبثا. نعم، ان الرجل الذى يريد ان يتزوجها من اجل مال الخال دادلى يجب ان يوحى اليها بالاحتقار. ولكنها رغم كل ما بذلت لم تستطع ان تحتقر ذلك الذى طبع على شفتيها الليلة قبلة كانت لها سمة لا يمكن ان تمحى ابدا. وراق لها ان تردد الحكمة التى سبق لها ان ذكرتها لنورا: «ان الحب ليس أعمى، فان له عينين يرى بهما المحبوب على حقيقته».. ونامت على الموسيقى الرقيقة لتلك الكلمات الرحيمة.

وبعد ساعة أفاقت من نومها بسبب حركة سريعة فى الرواق ولم تلبث الحركة ان تبعتها طرقة على الباب فوثبت من الفراش وأسرعت الى الباب وفتحته وقالت:

- ما الخبر؟

أجابتها احدى الخادمات وهى متقطعة الانفاس وشاحبة اللون:

- ان السيد... أوه يا آنسة. أسرعى.. تعالى ... تعالى.

وتعلقت بذراع الفتاة واجتازتا الرواق الطويل معا حتى البسطة وهناك وسط جماعة من الخدم المذهولين تمدد رجل. واخفت اديث وجهها بين يديها. ففى مساء نفس الليلة كانت تصرخ وتعبر عن تمردها، وتهفو الى الحرية. والآن... والآن...

- هل مات؟

سؤال لا جدوى منه... فقد كانت ابنة اخت دادلى فين تعرف الجواب مسبقا.

www.elromancia.com

الفصل الثانى

قالت نورا:

- انه ليحزننى ان اقول لك ان اللون الأسود يليق بك تماما.

وكانت اديث منحنية فوق احد الادراج، فاعتدلت، وألقت الى المرآة نظرة خاطفة وقالت:

- هل تعتقدين ذلك؟

وأردفت تقول وهى تبذل جهدا كبيرا:

- أوه، إننى أكره هذا الحداد، وانت تعلمين انه لم يكن بينى وبين خالى اى ود، ولست من الرياء بحيث اتظاهر بالحزن، ومواساة الناس الذين يعرفون الحقيقة.

- ومع ذلك فقد نلت ما كنت تريدين.. ثروة خالك وقصر ماسنجهام. ومهما زعمت فلابد انه كان يحبك على طريقته ما دام قد جعل منك وريثته الوحيدة.

- جميل منك ان تجملى الحقيقة، فاننى عشت عشر سنوات فى كابوس مريع، واريد ان انسى وان اعيش.. واسافر، وارى العالم أخيرا.

- و... ومستر براون؟

- اوه.. جيوفرى!... انه لم يعد الى البلد منذ... الوفاة.

وتحولت وهى تخشى ان تلحظ نورا ارتباكها. ولكن ابنة القسيس لم تكن تتمتع بدقة الملاحظة، وقالت تحدث نفسها: «حسنا.. ان اديث وجدت أنه يمكنها ان تستمتع بالثروة والحرية وأن تستغنى عن الحب». وقالت فى صوت مسموع:

- انك تستحقين أفضل منه، واملنا الآن ان لا يظهر هنا ثانية. ارتبكت اديث وهى تخشى ان يظهر عليها الانفعال الذى تغالب نفسها بكل جهد لكى لا يبدو عليها. كان عدم اهتمامها الظاهر يكلفها الكثير فى كل دقيقة، عندما تحلق بافكارها نحوه. وكان يتملكها قلق كبير وتترقب رنة صوته، ودبيب قدميه، ويلح عليها دائما نفس السؤال: هل يحبنى؟

وأغلقت الدرج فى حركة جافة واخذت نورا من ذراعها، وقالت:

- إننى أموت من الجوع.. فلنهبط لنرى إذا كان الشاى قد أعد.

www.elromancia.com

كانت الآنسة ماندر قد قضت ثمانية أيام فى قصر ماسنجهام، واصبحت تأتى الآن اصيل كل يوم.

وبينما كانت الفتاتان تتناولان الشاى فى غرفة الصالون، اقبلت خادمة وفى يدها صينية عليها بعض الرسائل وصاحت اديث فى سخرية:

- لم أتلق فى حياتى كلها رسائل كثيرة كهذه.

ولكن فيما تلقى البصر على الرسالة التى تتصدر كومة الرسائل، كتمت صيحة دهشة، وأمسكت بالرسالة بيد مضطربة شيئا ما لأنها عرفت خط جيوفرى.

وكانت نورا تأكل فى هدوء احدى الفطائر فى حين كان قلب الوارثة يركض فى ضلوعها وهى تفض الرسالة، حيث يتعلق مستقبلها دون ريب.

سأعود غدا وسآتى للقائك فى المساء، وأرجو ان اجدك على ما يرام.

ج. براون

كانت الرسالة بتاريخ الامس. ومعنى هذا انه سوف يأتى اليوم.. وفيما هى تمزق الرسالة إلى الف قطعة القت نظرة إلى الساعة، وكانت تشير إلى الخامسة.. اوه، هكذا سريعا.. وحالا، لماذا يأتى؟ اوه، كانت تعرف ذلك.. تعرف ذلك وتحاول

ان تنسى ان الدعاية التى اطلقتها الشائعات والرأى العام بخصوص وصية دادلى فين لم تكن غريبة طبعا عن سرعة عودة الشاب ولكن ما المهم؟... اذا لم يكن يحبها اليوم فسوف يحبها غدا لانها ستعرف كيف تحمله على حبها، وجعلها خيالها الرومانسى تتوقع مستقبلا رائعا.. واخيرا.. اخترقت السحب السماء.

ولم تواتها الشجاعة لكى تفرغ من شايها، فتركت نورا تلتهم وجبة شهية، وأسرعت إلى الحديقة كان جو الخريف الندى والدافىء والحزين شيئا ما يخيم فيها، فالأوراق الصفراء والمجعدة تتخلف عن أغصانها عند هبوب أقل نسمة من الريح. وتنقلت اديث فى الممرات، يستخفها الفرح، دون ان تعبأ باحتضار فصل الربيع. وما كانت الا لتطيل نزهتها منفردة لو لم تدعوها نورا وهى تعنفها لبقائها فى الرطوبة. وعادت الفتاة فى هدوء وصعدت لكى تستبدل حذاءها. وتأملت نفسها فى المرآة فى قلق. ايليق بها اللون الأسود حقا؟ وماذا سيكون رأى جيوفرى؟ هاجمت ذهنها المحموم طائفة من الاسئلة. ربما لا يأتى جيوفرى لكى يتزوجها؟

ولعل الأمر لا يبعد عن ان يكون وهما من اختلاق رغبتها هى بالذات.

www.elromancia.com

وعندما هبطت وجدت نورا على اهبة الرحيل، وعانقتها هذه الاخيرة ووعدتها بأن تعود فى الغد. ولجأت صاحبة قصر ماسنجهام الجديدة الى غرفة المكتبة وهى تشعر بشىء من الاضطراب لم تكن قد دخلتها أبدا فى حياتها، وبدا لها من الغريب إمكانية ان تتجول فى البيت دون خوف.

كانت الغرفة صارمة، وقطع الاثاث مستهلكة، ورفوف محملة بالكتب مرصوصة بطول الجدران، وفوق المدفأة لوحة كبيرة تمثل والد دادلى فين. وسرت الرعشة فى كيانها وهى ترى الشبه العجيب بين الاب والابن.. نفس الانف المشدود، ونفس الشفتين الرفيعتين، ونفس العينين القاسيتين والثاقبتين. ومضت نحو المكتب الذى تتكدس فوقه اكوام من الورق والنشرات. وجلست على مقعد الفقيد. وعندئذ تملكها خوف غير معقول، فقد كان هناك رجل خلف ذلك المكتب يحدجها بنظرة شرسة. وكان هذا الاحساس السخيف من الشدة بحيث انها استدارت فجأة وهى تطلق صرخة مختنقة، وارتطم مرفقها بكتاب وقع فوق السجادة، وأفلتت منه ورقتان أو ثلاث فالتقطت واحدة منها، ولفت خط فيها اهتمامها، فقرأت: هذه وصيتى حررتها اليوم الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٦٢.

بقيت مكانها بغير حراك وقد سمرتها المفاجأة، وعجزت عن استمرار القراءة. وبعد لحظة، وبيد محمومة بسطت

الورقة من جديد وقرأت ما يلى:

«إنه الموقع ادناه، دادلى فين، المتمتع بالصحة والعافية، ألغى فى هذا اليوم الحادى والعشرين من سبتمبر الوصية السابقة بهذه الوصية الجديدة واوصى بثروتى واملاكى لمستشفى سانت مارس ببلدة ماسنجهام باستثناء ألف جنيه تسلم لابنة اختى اديث رينولدز.

دادلى فين.

بقيت جامدة لا تتحرك وقد استعصى عليها التفكير، عندما أفاقت من جمودها على طرقة خفيفة بالباب جعلتها ترتجف، ووجدت من نفسها القوة لكى تقول: «ادخل». ودخلت خادمة أنبأتها قائلة:

- مستر براون يا آنسة.

- حسنا. سأستقبله هنا.

وأسرعت اديث ونهضت. ودست الوصية تحت كومة الفواتير وذهبت للقاء جيوفرى. كانت شاحبة اللون، زائغة البصر، وشد الزائر على يدها المرتعشة وهو يحدجها فى قلق، وقال:

- ما الخبر؟... يبدو ان هناك ما يخيفك.

راحت تضحك ولم تستطع مواجهته، وتظاهرت بأنها

www.elromancia.com

تتدفأ على نار المدفأة وقالت:

- أنا؟... لست خائفة منك على كل حال. هل كنت تتوقع أن اعتبرك شخصا مخيفا؟

قال براون:

- لا سمح الله.

وتقدم خطوة، داسا يديه فى جيبى سترته، وهو فريسة لارتباك خفيف. كان قد اقبل لكى يتقدم اليها وهو على يقين مسبق بأنها ستقبل على الفور. ولكنه احس الآن بنفور غريب، يكاد يكون خزيا، فالواقع انها هى التى تعطى كل شىء فى حين انه لا يعطى شيئا على الاطلاق، ولا حتى ودا أو حبا، فقد افلس بسبب طيش واستخفاف أب مجنون، ويعول نفسه الآن بفضل موارد ضئيلة تأتيه من مقالاته، معتمدا على زواج ثرى يخلصه من ورطته. وحتى الآن يشغل نفسه بسبب التفاوت الكبير الذى بينهما ولكنه أحس الآن، فى الساعة الأخيرة بوخز الضمير، ولكن إذا كانت تقبله على هذا الوضع أفليس هذا من شأنها وتأمل الفتاة الرقيقة الواقفة امام المدفأة، بينما كان يحاسب ضميره فى وقت متأخر نعم. انه يتزوجها من اجل نقودها. ولكن هى. لماذا تتزوجه اذا لم يكن بسبب الحب؟ وبالذات، فقد كان هذا الحب له وزنه الثقيل فى الكفة من ناحية الآنسة رينولدز.

لم يعقد نيته على قطع الصمت. وكما لو انها فكرت فيما يجول فى ذهنه، تحولت اليه وابتسمت له ابتسامة شاحبة غير اكيدة، يشوبها قلق شديد، وقالت:

- حسنا؟

أحس بالارتباك وبخجل كبير، أفلا يتصرف بطريقة غير شريفة، قبل فتاة غير مجربة وتحبه على الخصوص؟... آه، لو يستطيع ان ينظر إلى هذا الزواج من الناحية العملية فحسب، ومجردة من التعقيدات العاطفية!

وعادت أديت تقول فى صوت ثابت وفى عينيها وميض خبيث:

- حسنا؟.. ماذا تنتظر؟

اصطبغ حتى جذور شعره وقال:

- ماذا؟

- ألم تأت وفى نيتك ان تطلبنى للزواج؟

وتبع ذلك صمت بليغ. ورغم ان جيوفرى لم يكن رومانسيا بأى حال من الاحوال، الا انه احس بالمهانة وهو يراها تعامله بمثل تلك الوقاحة. وادرك فى نفس الوقت بانه لابد أن يخفى استياءه والا بدا مثيرا للسخرية. وقال فى برود:

www.elromancia.com

– اننى انكشفت، فلأمض اذن الى الغاية رأسا. هل تقبلين ان تتزوجينى يا آنسة رينولدز؟

– نعم. اريد ذلك طبعا. فلنجلس الآن.. فاننى اكره البقاء واقفة.

وقرنت القول بالعمل، فتهالكت فوق مقعد كبير امام النار. وتأملها الشاب لحظة من غير ان ينطق ثم هز كتفيه وجلس بجوارها، وراح يفكر. خيل إليه انه امام امرأة غريبة، فماذا يدور فى ذهنها؟ ان السر الذى تحتفظ به اديث بكل جهد يمكن وحده ان يجلو الغموض، فقد كانت تتظاهر بمظهر ما، وقد بسطت يديها الرقيقتين على ركبتيها فى هدوء. وبدأ شىء من الغضب يتملك جيوفرى وسألها:

– يدفعنى الفضول لكى اعرف لماذا توافقينى على طلبى.

ارتجفت، وأطرقت برأسها ثم اعتدلت ونظرت إليه اخيرا، وأجابت:

– لأنك.. لأنك.. لأنك شجاع.

– أشكرك كثيرا.. ومع ذلك فهذا سبب غريب.

مررت اديث لسانها على شفتيها الجافتين وقالت:

– عرفت انك فى شتاء قارس البرد انقذت طفلا كان يوشك ان يغرق فى المستنقع، بعد ان ذابت طبقة الجليد

تحت قدميه، كما اعرف مشاعرك الطيبة نحو ابيك، وهى مشاعر تكرمك مهما يقال عنك.

اجتاز جيوفرى الغرفة فى خطوات عصبية، ثم عاد ووقف امام الفتاة وقال:

– لو كنت رجلا شجاعا لودعتك الآن وغادرت البيت إلى الأبد.. وإذا كان لديك ذرة من العقل لطردتنى من هنا.

– كلا، فليس لى غيرك فى الدنيا، والوحدة تفزعنى.

– لك أن تطمئنى فسوف تحاطين بالاصدقاء بعد اليوم.

– نعم.. تجذبهم أموالى ولا أتمسك بمثل هؤلاء الأصدقاء.

– ومع ذلك فأنا الآخر لست منزها.

ضغطت على قلب اديث يد باردة وقالت:

– أنت صريح على الأقل، ولا تحاول ان تتصنع.

– أنا لم أحب ابدا، وأظن أننى لن أحب احدا.

– نحن متساويان اذن فى هذه النقطة فأنا الأخرى لم احب ابدا.

– أبدا؟

www.elromancia.com

- كنت أعيش فى عزلة فيما عدا زيارة القسيس.

قال جيوفرى فى لهجة ساخرة آلمتها كل الألم:

- استطيع بنفس الغرور أن اقول انك تنسين خادمك المتواضع. آه.. انه لا يشك أبداً فى العذاب الذى تتحمله.. وعاد يقول:

- سأتيك بخاتم.. أى نوع تفضلين؟

- الأمر عندى سيان.

- حسنا.. سأختار بقدر استطاعتى.. ومتى نتزوج؟

وازاء هذا السؤال المباشر الذى ذكرها بالوصية التى اكتشفتها أحست بشىء من الذعر وقالت:

- أوه.. ليس بعد.. دع لى بعض الوقت.

- ليكن. ولكننى أمقت الخطوبة الطويلة.

لم ترد.. لكم يبدو متعجلا على الثراء.. ماذا يقول عندما يعلم الحقيقة، لأنه سيعرفها ذات يوم. هل سيكره تلك التى تلاعبت به؟ ... ومن قلبها تصاعد الى شفتيها رجاء محموم وقالت: «اوه.. اعمل على ان يحبنى يا رب... وان يحبنى قبل أن يعرف».

- ألا يضايقك التدخين؟

سؤال تافه ردها إلى عالم الواقع، فأجابت وهى تبتسم:

- أبدا. ارجوك أن تدخن.

اشعل جيوفرى سيجارة بينما انحنت هى الى النار وقدمت يديها للهب. وراح الشاب يراقب اديث فى فروغ صبر. لماذا تريده ان يتزوجها إذا كانت لا تحبه؟ لم تخدعه الأسباب غير السوية التى ذكرتها له. كلا ان لديها غرضا خفيا يدفعها الى ذلك. وهز كتفيه. لكى يطرد ذلك الاحساس البغيض. وفى هذه اللحظة طرق الباب ودخلت خادمة وقالت:

- القسيس يا آنسة. هل أدعه يدخل هنا؟

- كلا. كلا يا مارى. ادخليه قاعة الطعام. سأمضى إليه.

وابتعدت بعد ان ابدت كلمة اعتذار لجيوفرى.

وإذ بقى الشاب وحده القى فى النار سيجارته ولم يكن قد دخن غير نصفها، وراح يذرع الغرفة، كما لو كان يبحث عن مخرج.. نعم انه يرى منذ البداية ان حياته الزوجية مع هذه الفتاة ستكون كئيبة ورتيبة رتابة شاقة. وتنهد وتهالك فوق المقعد القلاب، بجوار المكتب، واصطدم مرفقه بكومة من الفواتير التى تبعثرت فوق السجادة.. وفيما هو يلعن حظه العاثر انحنى لالتقاطها وهو يلقى اليها نظرة شاردة

www.elromancia.com

حين لفتت نظره ورقة بالذات... هذه وصيتى.. أنا الموقع ادناه، دادلى فين.. آه الوصية الشهيرة التى يتحدث عنها الجميع والتى يترك فيها كل ثروته واملاكه لابنة اخته. وراح الشاب يقرأها بدافع الفضول، ولم يلبث ان تغير فضوله الى اهتمام كبير وعندما فرغ من قراءتها تعلقت عيناه على السطر الأول: ٢١ سبتمبر ١٩٦٢، اى نفس اليوم الذى مات فيه دادلى فين.

بقى جيوفرى لحظة جامدا والورقة فى يده ثم اعادها فى عناية تحت الفواتير، ونهض هل علمت اديث بأمر هذه الوصية الثانية؟ وفجأة تذكر ارتباك الفتاة واضطرابها عندما دخل.. ان كل شىء واضح. وهذا هو السبب فى انها تقبل ان يتزوجها.

الفصل الثالث

كان من السهل على جيوفرى أن يحبط لعبة اديث، ولكنه لم يشأ ذلك فقد أصبحت الفتاة تهمه منذ ان عرف سرها، فهل كانت تتصرف هكذا عن مصلحة ام لانها تحبه حقا؟.. كان ذلك لغزا محيرا.

ولم تلبث اديث أن عادت وهى شاحبة ويبدو عليها الاستياء فسألها:

- ماذا قال لك القسيس؟

- توسل إلى أن لا اتزوجك بالطبع. لم يهتم بى اطلاقا وخالى على قيد الحياة ولم يحاول التخفيف عنى ابدا. وأنا الآن اريد ان اتصرف كما اشاء، وان استغنى عن نصائحه وانوى قبل كل شىء أن امضى الى لندن، رغم أننى لا أعرف فيها شيئا أو أحدا، فليس لى - كما تعرف - أى اصدقاء أو معارف.

- انتظرى. ان لى خالة تقيم هناك وهى أرملة محترمة

www.elromancia.com

جدا، وسيسرها ان تتعرف بك. وسأقدمك اليها وستتعرفين بابنتها كذلك، وهى ابنة خالتى لوسى.

نهض جيوفرى ونظر الى خطيبته الجديدة فى شىء من الارتباك وقال:

- متى أراك؟

- غدا صباحا، إذا شئت.

- إلى صباح الغد اذن. كان المفروض ان يأتى ابى ليقدم اليك طلبا رسميا، ولكنه لا يتصرف ابدا بطريقة سليمة. ونحن نتفاهم سويا تماما لاننى لا اطلب منه ان يكون كفيره من الآباء.

بقيت صامتة. احست بخيبة مريرة ويأس حقيقى وفيما هى تشيعه طرق الباب العمومى، وادخلت الخادمة نورا ماندر وتسرع جيوفرى فى توديعهما، وقد احنقه انه فقد رباطة جأشه واصطبغ وجهه كما لو كان طالبا.

وما أن بقيتا وحدهما فى غرفة المكتبة حتى بدأت نورا الحديث قائلة:

- هل خطبك؟... أريد أن أعرف... ماذا حدث يا عزيزتى؟

ضحكت اديث ضحكة عصبية وقالت:

- طلب أن يتزوجنى ولم أرفضه. ولك انت ان تستنتجى.

وخيم صمت مضن، وعادت الآنسة ماندر تقول:

- لو كان الامر يتعلق برجل آخر.

- رجل آخر.. رجل آخر. ان اباك خرج لتوه من هنا، ولم يراع مشاعرى. ما من احد يفترض ان جيوفرى يمكن ان يشعر نحوى بأى ميل.

- هل انت عمياء الى هذا الحد يا صديقتى العزيزة؟ ان كل امرىء يعلم انه لا يريد ان يتزوجك الا من اجل ثروتك. وقد كان يتحدث فى ذلك بشكل مكشوف قبل موت مستر فين.

كانت اديث تتعذب عذابا حقيقيا.. اتراها قد تورطت فى عمل جنونى؟.. إذ كيف تأمل ان تكسب قلب رجل لا يفكر الا فى اخفاء اطماعه؟

واستطردت نورا تقول فى قسوة:

- لو كنت مكانك لشعرت بالمهانة. ثم انه غازل ابنة خالة له عندما جاءت لقضاء عطلة الصيف فى ماسنجهام. وقد رؤيا معا كثيرا، غير انها لا تملك أموالاً.

- ابنة خالته لوسى.. اننى اعرف وقد اخبرنى هو نفسه بذلك.

www.elromancia.com

- ابنة خالته لوسى!... إذا كان الامر كذلك فمرحى.. مرحى.. ومتى الزواج؟

- لندع هذا الحديث جانبا.. أرجوك واعلمى اننى سأتصرف وفق مشيئتى رغم كل الانتقادات.

انتهى الامر بنورا الى ان ادركت انها مزعجة، فاستأذنت فى الانصراف على مضض منها من لدن وارثة دادلى فين. ولم تحاول اديث احتجازها.

وما أن انفردت بنفسها حتى أخرجت الوصية من مخبئها، وصعدت الى غرفتها واغلقت الباب بالمفتاح ثم فتحت باب خزانة الثياب ودست الورقة تحت كومة من الثياب الداخلية القديمة وخيل اليها انها بعملها هذا قد ارتكبت جريمة. فماذا يكون جزاؤها اذا عرف احد بوجود هذه الوصية الجديدة قبل ان تعلن هى نفسها عن وجودها. ولكن من الذى يمكنه أن يكتشف هذا السر؟

ومع ذلك فقد قضت اديث ليلة مضطربة هاجمتها فيها كوابيس بشعة راح شبح الخال دادلى يهددها فيها بلا انقطاع. واخيرا طلع النهار، وبدد تلك الاحلام الفظيعة، ونهضت وهى تشعر بالمرح تقريبا، فقد حل الامل محل الخوف. كانت شابة والحياة أمامها ثم انها كانت مخطوبة لجيوفرى براون وعادت تقول لنفسها وهى تلقى نظرة آمنة

إلى المرآة:

«إن نساء آخريات نلن حب الذى يحببنه، فلماذا لا أفلح أنا؟».

وما أن انتهت من زينتها حتى قررت الذهاب للقاء براون، وسلكت طريقا مختصرا كان يسلكه هو كثيراً ويؤدى إلى الطريق العام، وكانت السماء مشرقة ونسمة دافئة تلفح وجهها واستخف بها الفرح ، فقد أصبحت صاحبة قصر ماسنجهام وضحكت لها الحياة أخيرا، وفيما هى تقترب من طريق يفصله عن الحقول سياج، رنت فى أذنيها اصوات قريبة، وعرفت صاحب صوت منها كان يقول:

- اى عزيزتى الصغيرة، إنك تعرفين ان ذلك كان لابد أن يقع فى يوم ما ، فلا تقولى العكس، يجب أن اتزوج زواجا غنيا، والا فسوف نمضى معا إلى الفقر، سوف لا يجد أبى بعد قليل ما يتعيش منه، كلا كلا، لا تبكى، الا تعتقدين انى اقسو على نفسى كما اقسو عليك؟

أصغت اديث، زائغة العينين، لاهثة الانفاس، غير مدركة انها تتجسس، وقد سمرتها فى مكانها قوة تغلبت على ارادتها، والتصقت بالسياج، ورأت جيوفرى منحنيًا فوق فتاة شابة تقف أمامه.

لم تتحرك أديث وحبست انفاسها، وأحست لحظة أنها

www.elromancia.com

ألعوبة فى كابوس مريع، ولكنها اضطرت ان تعترف بالواقع، وراحت تدقق النظر فى رفيقة جيوفرى بعينين غيورتين، كانت جميلة ومليحة، تتوج رأسها خصلات شقراء، وكانت دامعة العينين من فرط البكاء، لاريب انها أبنة خالته لوسى، وألقى يديه على الكتفين الرقيقين وقال:

- إننى لا أحبها، ولكن هل هناك حاجة لكى اقول لك ذلك؟

أننى أمر بأوقات صعبة جدا، فقد حسبت انك فهمت.

- نعم، نعم، إننى فهمت تماما، انك تهتم بمسألة المال، قبل كل شىء، وسأموت من الحزن بسبب ذلك يا جيوفرى... اذا كنت قد احببتنى فكيف يمكنك ان تتزوج بأخرى؟

ابتعد عنها فى حركة تدل على فروغ صبره وقال:

- ومع ذلك فقد أوضحت لك السبب، إننى لا أكسب الا ما يكاد يسد الرمق، وسوف اتحمل مسئولية أبى بعد قليل لأنه لن يكون له اى مورد، وهذا الزواج وحده سينقذنا من ورطتنا، وأنت قد وعدتنى، فى لقائنا الأخير بأنك لن تحاولى رؤيتى.. فلماذا أتيت الآن؟

- داخلنى شعور بأنك ستخطبها اليوم يا جيوفرى. جيوفرى.. لا استطيع ان اتخلى عنك يا جيوفرى.

قطب حاجبيه، ولكن غمر وجهه انفعال عميق. وفرضت فكرة قاسية نفسها على أديث، واخترقت قلبها كنصل خنجر.. إنه يحبها.. يحبها.. ولم ينظر الى أبداً كما ينظر إليها الآن.

وابتعد العاشقان، وراحت الفتاة تنتحب متشنجة وقد استغرقت فى نوع من الخدر، وافاقت أخيرا، وشهقت شهقة طويلة، وراحت تتأمل الحق بعينين ذاهلتين، ماذا تفعل هنا؟.. آه.. انها جاءت لكى تلتقى برجل يحب امرأة أخرى.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

عندما عادت أديث الى ما سنجهام كان جيوفرى ينتظر فى البهو، وتقدم مطمئنا مبتسما وقال:

- إننى تركت المركبة امام بوابة القصر، فقد كبرنا على تحدى سخافات عصرنا فيما يخص السيارات، ثم ان ابى لا يتمتع بأعصاب قوية لكى يقود سيارة، وبمناسبة الحديث عن أبى، الا تريدين الذهاب لزيارته؟

قالت وهى تغالب نفسها لكى تبتسم:

- نعم.

وخرجا معا، وجلست اديث فى المقعد بجوار جيوفرى، ولزمت الصمت، وسألها بعد لحظة:

- هل تعرفين القيادة؟

- كلا، فإن الخال دادلى لم يسمح لى بأن اتعلمها.

- حسنا، سألقنك الدرس الأول.

ووضع اللجام فى يديها ودس ذراعا خلفها لكى يرشدها إلى ما يجب أن تفعل، وأحس الجواد وكان مهرا أهوج بأنه لم يعد فى يد ثابتة الآن فراح يعدو، ولم تلبث أديث ان احست بالارهاق فقالت:

- خذ اللجام فان زراعىَّ تحطمتا.

- كلا، كلا، دعك من هذه النزوات، استمرى حتى نصل الى عامود التليفون المقبل.

أثارها استخفافه، وسخرية لهجته، فتخلصت من اللجام الذى سقط فوق عنق الجواد، و ارتمى جيوفرى، دون ان ينطق بكلمة، إلى الأمام للامساك به، ولكنه كان قد انزلق إلى الارض، وتعقد بين ساقى الجواد الذى جن جنونه، وحاول الشاب عبثا، وهو جاث على ركبتيه ان يوقف عدو الجواد الجامح، ولعله كان يستطيع ذلك لولم تظهر سيارة من المنعطف فجأة. وزاد نفير السيارة من هياج الجواد فاندفع الى جانب من الطريق، بحيث انفصلت احدى عجلتى المركبة، وانقلبت فى الطريق الضيق.

وكان جيوفرى قد وقع على بعد نحو متر، فنهض سليما، أما الجواد فقد راح يضرب الارض فى حدة، وجسد أديث الجامد تحت العربة المقلوبة، كان لابد قبل كل شىء انقاذ الفتاة المسكينة من تحت قدمى الجواد، وامسكه جيوفرى من

www.elromancia.com

شكيمة اللجام واجبره على شل حركته ثم راح يفك اللجام، وبدت العملية طويلة ومميته. واخيرا ترك الجواد طليقا وأخرج اديث وحملها، كانت فاقدة الوعى، وخيط من الدم يسيل من جرح فى جبينها، واحدى ذراعيها مدلاة كما لو كانت مكسورة.

استولى اليأس على جيوفرى، لم يكن هناك أحد، وكانت السيارة التى تسببت فى الحادث قد ابتعدت، ولم ير أحد من ركابها شيئا مما حدث، وألقى الجريحة فوق المنحدر، وهم بأن يمضى للبحث عن نجدة، مر بجوارهما راكب على دراجة بخارية، وتوقف أمامهما على الفور، واطلعه جيوفرى على ما حدث فى ايجاز، ووعده الراكب ان يرسل إليه نجدة.

واذ بقى جيوفرى وحده، تأمل فى يأس الفتاة الغائبة عن الوعى عند قدميه، وقد اثارت عطفه فى غيبوبتها وشحوبها، وعصف القلق بكل كيانه وصاح:

- اديث.

وعندئذ تحركت الرموش الطويلة السوداء، وارتفع حاجباها، والقت الى صاحبها نظرة متباعدة وتمتمت فى صوت ضعيف:

- حبيبى!

ثم أطبقت عينيها.

وكان جيوفرى لايزال يضمها بين ذراعيه عندما عاد راكب الدراجة البخارية وقال وهو يلهث:

- انهم آتون بمحفة ارتجالية من بيت فى أخر الطريق، وسيحملونها الى بيت القسيس، وهو اقرب بيت فى ماسنجهام.

واقبل رجلان بعد قليل ومعهما محفة حملا اديث اليها وسار الجميع، وكان بيت القسيس يقع على بعد الف وخمسين مترا تقريبا.. وأدخل القسيس فى وقار كبير جيوفرى الى الصالون، وبدا كأن قرنا مضى قبل مجىء الطبيب، وسمعه الشاب يهبط أخيرا فأسرع اليه عند اسفل الدرج وسأله:

- كيف حالها؟

- انها مصابة بكسر فى ذراعها وبصدمة عنيفة، فدعوها فى هدوء، وسوف تتحسن حالتها بعد أيام قليلة.

ونظر الطبيب الى الشاب الممتقع اللون فى عطف وسأله:

- هل انت زوجها؟

-كلا. إننا مخطوبان.

www.elromancia.com

أحس جيوفرى بارتياح كبير وهو يعلم انها نجت من الخطر، وما كان الا ليلوم نفسه، كما لو انه ارتكب جريمة قتل وابتعد وقد اطمأن وان كان لم يشعر بالارتياح وهى فى بيت ألد أعدائه.

وما كاد يعود الى بيته حتى اسرع وكتب رسالة على الفور، هذا نصها:

عزيزتى لوسى،

ها أنذا قد خطبت الآنسة رينولدز فأرجو ان تنسينى، فأنا لا استحق حبك. الوداع، وحاولى ان تصفحى عنى.

جيوفرى

مضى جيوفرى براون كل يوم إلى دار القسيس دون ان يتمكن من مقابلة المريضة. كانت نوراماندر تعطيه أنباء طيبة مؤكدة له ان أديث لا تزال ضعيفة جدا لكى تتلقى زيارات. وذات صباح نفد صبره، فأرسل اليها كلمة يرجوها فيها ان تقابله ولو خمس دقائق وردت عليه ان يأتى أصيل اليوم.

وجدها جالسة بمفردها فى الصالون، وكان ذراعها لا يزال فى الجبس، وخط أحمر يعتلى جبينها. وأطرقت بعينيها وقد احمرت وجنتاها. واستولى على جيوفرى حياء شديد شل حركته، واكتفى بأن قال:

- كيف حالك؟

وتقدم وانحنى فوقها. ووثبت اديث على الفور كما لو انها خشيت ان يقبلها وقالت:

- كلا، كلا. لا تفعل. اننى فكرت، وأريد ان أقول لك...

ولكن صوتها تحطم فقال:

- هل أثارك آل ماندر ضدى؟

- لم يقولا لى شيئا ولا حتى كلمة واحدة.. ولكننى اشعر. ان كلا منا لم يخلق للآخر.

تبع هذا الاعتراف غير المتوقع صمت بليغ وقال جيوفرى أخيرا:

- ولكن ماذا فعلت؟... علام تلومينني؟.. هذا جنون.

- كلا. بل كنت مجنونة قبل ذلك. أما الآن فقد عدت إلى رشدى.. دعنى اتحدث.

مضى واعتمد على حافة المدفأة وقال:

- تكلمى، اننى مصغ إليك.

جلست فى تثاقل وقالت:

- ان أوقات الفراغ التى اتيحت لى منحتنى الوقت

www.elromancia.com

للتفكير، وكما تعلم فأنا لا استطيع الزواج برجل احبه ولا يحبنى هو. ويؤسفنى ان أقول هذا، ولكن...

تأملها جيوفرى دون ان ينطق، ثم تقدم نحوها، ورفع ذقنها فى رفق وارغمها على النظر اليه وجها لوجه وسألها:

- أهذه هى كل الحقيقة.

ارتعش جفنا اديث، كما لو أنها ارادت ان تخفى ما ارتسم فى عينيها الواسعتين السمراوين. ولكن التظاهر لم يمكث اكثر من ثانية، فقد تحررت وهى تهز نفسها، ونهضت وقالت:

- حسنا. كلا. كلا. إذا اردت ان تعرف الحقيقة، فقد كنت فى صباح اليوم الذى وقع فيه الحادث فى الحقل الذى فى آخر الطريق. ووجدتك مع ابنة خالتك. وانتهى كل شىء منذ تلك اللحظة.

صبغ الخزى وجه الشاب، وبقى بلا حراك وقد توترت عضلات وجهه.

- نعم.. كنت خلف السياج وقد سمعتكما سويا.

ضحك ضحكة مريرة وقال:

- واستقر عزمك منذ ذلك الاكتشاف على أن تقطعى علاقتك بى؟ لماذا؟ هل وعدتك وعودا كاذبة؟ هل قدمت لك تصريحات غير حقيقية؟

- كلا. ولكنك سهوت عن ان تذكر لى ما بينك وبين ابنة خالتك، ويستحيل على بعد ذلك الوفاء بوعدى، فلا اريد ان يتحطم قلب بسببى.

- لا داعى لان نثير مأساة. فان الفتاة سرعان ما تنسى أحزان الحب الأول.

واقترب جيوفرى فى خطوات عصبية، من النافذة وألصق جبينه بزجاجها وسرح بنظره وهو شارد فى الخارج وحملته صيحة تعجب شديدة إلى أن يستدير. وقالت اديث:

- اوه. انت غير جدير اذن بأن تشعر بأية عاطفة حقيقية. ولا شىء يمكن ان يؤثر فيك؟ ولكنك كنت تؤكد لصديقتك انك تتعذب انت الآخر... كنت تكذب إذن؟

وخيم صمت. وقال اخيرا:

- عفوا. قبل ان أرد، أريد أن ألقى عليك سؤالا.

- تفضل. ولكن لن يغير قرارى اى شىء. والأولى ان يودع كل منا الآخر الآن وفورا.

احتجزت اديث دموعها فى جهد كبير. وتقدم جيوفرى نحوها وقال:

- لو أننا التقينا فى ظرورف أخرى، ولو انك لم تكونى غنية، ولو لم تكن سمعتى اننى اسعى وراء أموالك، فهل كنت

www.elromancia.com

تعتقدين انه كان يمكنك ان تحبينى؟

وإذ اخذت هكذا على غرة اصطبغ وجهها، ولكنها استطاعت ان تتغلب على نفسها وقالت:

- ما هذه النظرية المستبعدة... اننا ما كنا لنلتقى طبعا.

أمسك يدها واحتجزها بالقوة وقال:

- أنت غير صادقة.. قليل من الصراحة إذن.. اننى سأغادر هذا البيت ولن أعود اليه ابدا، وأريد على الأقل أن احمل معى ذكرى كلمة جميلة.

لزمت الصمت وقد أثارتها تلك الكلمات القاطعة: «سأغادر هذا البيت ولن اعود إليه ابدا».. واصر قائلا:

- ردى على.

- أتريد هذا حقا؟ نعم. لو ان المال لم يكن بيننا فلعلنى كنت استطيع ان احبك.

- اشكرك. سأرد أنا الآخر بدورى. أن الفتاة التى كانت معى هى لوسى، ابنة خالتى، ومنذ صغرنا وتجمع بيننا مودة رقيقة.. وهذه المودة يمكن ان تنتهى بزواج. ولكنها لا تملك مالا، وفوق ذلك، فإن الحادث الذى وقع لك اتاح لى الوقت لكى افكر، وادركت انك تستطيعين ان تمنحينى احساسا اكثر عمقا مما تستطيعه هى. ومهما يكن فان لوسى ليست الا

طفلة، وعندما تختار شريك حياتها...

وأمسك فجأة عن الكلام وهز كتفيه ثم قال:

- أوه، لا داعى لازعاجك، فان مشروع زواجنا تم كما لو اننا نقوم بعملية تجارية، وهى عملية لم تفلح. وأهالى القرية سيشكرون الله لانه هداك إلى الطريق الصحيح.. ان كل شىء على ما يرام.. ولكن، من الذى ارسل اليك هذه الزهور؟

وأشار إلى باقة من الورود الجميلة تعطر رائحتها الغرفة فأجابت:

- صديق.

ولم يفت ارتباك اديث عن جيوفرى وانحنى فوق المنضدة ورأى بطاقة صغيرة مرفقة بالباقة عليها اسم: أ. سيريل روبنسون:

مع أحسن تحياته.

وسألها: أهذا هو سر اللغز؟.. هل يجب أن أعتبر هذا الروبنسون غريمى السعيد؟

- كلا. إننى لا أعرفه. قالت لى مدام ماندر إنه عاونك اثناء الحادث الذى تعرضت له. وقد جاء مرارا ليستفسر عن صحتى.

www.elromancia.com

قال الشاب فى لهجة ساخرة:

- آه.. نعم، راكب الدراجة البخارية. فارس عصرى شهم بالطبع. لا يبقى أمامى الآن الا أن أودعك. ولكن قبل ان انصرف أحب أن اعرف كيف تنوين تدبير حياتك والتصرف فى ثروتك الطائلة واملاكك الواسعة التى كان القسيس المحترم ورعاياه يعتقدون اننى - لاستيائهم الكبير - سوف اكون المنتفع بها وأن...

وترك العبارة الاخيرة ناقصة وهو يفكر فى الوصية الأخيرة لدادلى فين. والغريب انه منذ بداية هذا الحديث لم يفكر جيوفرى لحظة واحدة فى الثروة الكبيرة التى كان من المفروض انه سيخسرها وبرق فى عينيه وميض خفيف وهو يتأمل اديث وقد اصفر لونها فجأة.

أما هى، فلم تستطع ان تنسى.. ان الانتقام المحتمل للخال دادلى كان يتسبب فى عذابها ليل نهار. اما الآن فلم يعد يهمها شىء، فان كل احلامها وكل آلامها، وكل اطماعها قد تجمعت حول غاية واحدة وهى الفوز بقلب جيوفرى، وقد اعترفت الآن بالهزيمة. وقالت أخيرا:

- ساغادر ماسنجهام. اننى لم انتقل من هنا أبدا، ولا اعرف شيئا.

- أتمنى لك السعادة.

خيم صمت كئيب. وعلى غير وعى منها تشبثت باليد الممدودة، وتمتمت:

- وأنت؟... هل ستتزوج ابنة خالتك؟

- ربما... إذا لم يروعها زواج فقير.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

عادت أديث إلى ماسنجهام بعد يومين من حديثها مع جيوفرى براون، رغم احتجاجات آل ماندر. لم تكن تشعر بالتوازن بعد ولكنها تعجلت الهرب من بيت القسيس حيث صدى الثرثرات التى كثرت بسبب فسخ خطوبتها كانت تصل إليها. وكانت نورا تنقل اليها كل الاخبار الجيدة والرديئة التى تدور فى القرية.

وفى تلك الليلة، كانت اديث بعد العشاء، تقرأ فى ركن أمام النار عندما جاءتها الخادمة ببطاقة احد الزائرين «سيريل روبنسون» وقبل ان تقرأ الاسم تمنت ان تكون من جيوفرى. ولكنها وقعت من عليائها، وقالت فى اكتئاب:

- دعيه يدخل.

تقدم روبنسون. كان رجلا فى الثامنة والعشرين أو التاسعة والعشرين من عمره، معتدل القامة عريض الكتفين غير وسيم ومع ذلك فقد كان وجهه المبتسم يتكلم فى صالحه

بمجرد دخوله:

- معذرة لتطفلى يا آنسة. ذهبت إلى بيت القسيس بعد ظهر اليوم لاستقاء أنبائك، فأخبرنى القس برحيلك. وأراك الآن وقد تحسنت صحتك.

- كثيرا، واشكرك. وادين لك بالشكر ايضا لارسالك زهورك الجميلة. تفضل بالجلوس.

أطاع سيريل روبنسون وهو فريسة ارتباك ظاهر وقال:

- اشتريت انا واختى بيتا صغيرا فى ماسنجهام ويسعدنى... يسعدنا ان نتوثق أواصر الصداقة بيننا واعرف ان طلبى هذا سابق لاوانه قليلا فأنا لم ارك الا مرة واحدة وكنت فاقدة الوعى.

وأمسك وهو ينظر إليها مواجهة ثم قال:

- أرجو أن لا تجدى فى مسلكى هذا إهانة، فكلى احترام لك وأشعر نحوك بكل ود.

تغلبت اديث على دهشتها وعرفت كيف ترد بكل لباقة ورقة ومجاملة. واتخذ الحديث سهولة اكثر وافترق الشابان وهما صديقان صدوقان. وخيل لصاحبة القصر الجديدة ان يدا رحيمة قد امتدت اليها. وأثرت فيها تلك الصداقة التى عرضت عليها بكل تلقائية. ومع ذلك، فلم يخطر ببالها مرة

www.elromancia.com

واحدة البقاء فى ماسنجهام. ارادت ان تهرب بكل ثمن من فضول الاهالى وان تغادر البيت الذى لم تعرف فيه الا أبغض الذكريات، ولكى تفلت من الجو الذى تعانيه راحت تطالع اعلانات الجرائد ولفت نظرها الاعلان التالى:

«سيدة من أسرة طيبة تعرض تكريس حياتها من اجل فتاة وحيدة منفردة. علاقات مختارة وشرف تام. الاتصال بمدام ترانتر، رقم ٣٩ بشارع باركر، بلندن».

قرأت اديث تلك السطور اكثرمن مرة. والواقع لماذا لا ترد على هذا الاعلان، ولماذا لا ترفع الحجاب عن دنيا مجهولة قبل ان تنغمر فى الخمول والغموض. افليست هى صاحبة الثروة الطائلة لدادلى فين التى ستظل ملكا لها طالما لا تظهر الوصية الاخيرة؟

وقضت ليلة حزينة، وبقيت فى فراشها تتقلب ساعات طويلة دون ان تجد للنوم سبيلا، تصغى إلى آلاف الاصوات الغريبة، وتمر امام مخيلتها الصور المزعجة التى تتخلل ليالى الأرق. وغرقت اخيرا فى نوم عميق لم تستيقظ منه الا فى صباح اليوم التالى، فقد كانت الخادمة واقفة امام الفراش بعد ان وضعت صينية طعام الافطار على الخوان الصغير بجوار الفراش وقالت:

- كانت سيدتى غارقة فى النوم بحيث لم اجرؤ على

ايقاظها.. جاءت رسالة لك يا سيدتى.

- أشكرك. يمكنك الانصراف، فلم اعد بحاجة إليك الآن. فضت اديث الرسالة بعد انصراف الخادمة، وكانت تفوح منها رائحة عطرة. كان مطبوعا على رأس الورقة رقم تليفون مدام ترانتر بالأرقام البارزة تسببت فى شعور اديث بالارتياح. وكانت مدام ترانتر ترجو الانسة رينولدز بأن تزورها فى الغد (أى فى نفس اليوم) حتى يمكنهما التفاهم.

وارتدت ثيابها وهى لا تفكر الا فى مشروعاتها الجديدة، وقد شعرت بالخفة والنشاط. ولكن عندما دخلت غرفة الثياب لكى تأخذ تاييرا تذكرت - فى فزع - الوصية الأخيرة. وترددت لكى تدخل الغرفة المشئومة ثم دست يدا مضطربة تحت كومة الثياب الداخلية حيث وضعت الورقة. ولكنها بحثت عنها بحثا بطول الرف ولم تجدها. لم تجد شيئا. لقد اختفت الوصية.

ارهقت اديث نفسها فى البحث فى كل مكان ولم تظهر الورقة. من الذى تجسس عليها. ومن الذى رآها وهى تخفى تلك الورقة اللعينة؟ واستولى عليها ذعر حقيقى.

ونظرت، وهى تهبط الى الخدم، فى شك وريبة. من منهم عرف سرها الرهيب وماذا ينتظر لكى يبلغ عنها؟ وبعد الغداء قامت بالتفتيش فى غرفة المكتبة رغم انها كانت على

www.elromancia.com

يقين من انها اخذت الوصية منها. واخيرا، ولكى تفلت من وساوسها، وفى رغبتها فى الرد على دعوة مدام ترانتر. مضت إلى المحطة.

وكان القطار قد انطلق عندما انفتح باب مقصورتها فى عنف واندفع مسافر بالداخل. كان جيوفرى براون. وانفجر ضاحكا وقال:

- هذا عجيب!

صعد الدم الى وجنتى الآنسة رينولدز الشاحبتين وبقيت مشدوهة. أما هو، فقد جلس أمامها فى غير ارتباك وحياها قائلا:

- إن!.. اننى جريت كثيرا، واوشكت أن لا ألحق بالقطار.. ولكن هذا لقاء غيرمتوقع... أين تمضين؟... إلى لندن؟

- نعم، بعد ظهر اليوم.

- آه. وأنا أيضا.

وأمسك لحظة ثم اردف فى لهجة خفيفة:

- اننى ماض لرؤية ابنة خالتى.

وما كانت لتستطيع ان تنطق بكلمة، حتى لو ان حياتها تعلقت بذلك. ولزم جيوفرى، من ناحيته. الصمت. وراح ينظر

من النافذة.

وطفقت تتأمل ذلك الوجه الوسيم غير المكترث، جامدة عن الحركة، ومحمومة فى نفس الوقت. آه.. ان فسخ خطوبتهما الوجيزة لا تقلق هدوءه المزدرى. وفجأة، أدار رأسه والتقت عيناهما لحظة، فى تحد وقال:

- انك لا تهنئيننى؟

- بلى. لك كل تهانئى.

- أوه، لم اكن اشير إلى مشروعاتى الزوجية.. انت تجهلين اذن النبأ العظيم!

- أى نبأ؟

- تصورت انه انتشر فى كل القرية كما تنتشر نار البارود. اننا ورثنا من ابن عم بعيد مات دون ان يترك وصية، ووقعت علينا ثروة من السماء. ومن غير ان نكون من اصحاب الملايين، فقد اصبحنا الآن فى موقف مريح جدا. وقد اوصى أبى المسكين بأثاث جديد، والعمال يزحمون البيت لانه فى حالة عاجلة للترميم والطلاء.

لم تبد أديث اى انفعال. وراحت تتألم فى صمت. هكذا انتقم القدر الساخر له. والآن وقد فقدت جيوفرى الى الابد، لم يعد لها عليه أى سلطان، لأنه لم يكن يطمع الا فى

www.elromancia.com

ثروتها، ولأنه لم يكن يرى فى الزواج منها الا وسيلة للافلات من الفقر. وبذلت جهدا كبيرا واستطاعت ان تقول:

- لك كل تهانئى. سوف يعجل ذلك زواجك.

- دون شك، فان العوائق المالية قد ذللت. ولكن كفانا حديثا عن نفسى. وأنت، ما هى مشروعاتك المستقبلية.

- اننى ماضية اليوم بالذات لكى اتفاهم مع امرأة لطيفة قبلت ان تدخلنى الى المجتمع، وفى كلمة واحدة ان تكون اشبنيتى.

- أمرأة غريبة؟

- نعم امرأة غريبة وقد تعارفت بها عن طريق الاعلانات. ولدى عنها احساس طيب.

- انك تتصرفين بطيش كبير. لا ريب انها أفاقة، فأنت لا تعرفين عنها شيئا.

- لا أعرف عنها أكثر من اسمها.. انظر، اليك رسالتها التى أتتنى صباح اليوم.

وما إن القى جيوفرى نظرة على الورقة المغطاة بخط رقيق حتى انفجر ضاحكا وقال:

- ويتحدثون بعد ذلك عن الاحتمالات التى لا يمكن الا أن تحدث فى الروايات ان ليليان ترانتر هى خالتى، أم لوسى.

خيم صمت مفجع بعد هذا القول. وامتقع وجه اديث وقالت:

- اننى لا أصدقك.

- ومع ذلك فان مدام ترانتر ما هى الا اخت أمى.

- وما الأهمية؟ ان ذلك لا يمكن ان يؤثر فى قرارها.

- بالتأكيد، فان خالتى العزيزة غدت ارملة منذ وقت بعيد، ومواردها متواضعة، وتجد نفسها فى موقف يدعوها لتحسين وضعها. على ما أظن. وستستقبل بذراعين مفتوحتين رفيقة واسعة الغنى.

ارتجفت الوارثة المزعومة.. واسعة الغنى.. ما اعجب رنين هذه الصفة فى اذنى فقيرة.

- إذا رافقتك فسوف أقدمك و..

- أشكرك.. افضل ان اكون بمفردى.

- كما تريدين. ولكن إذا أقمت فى بيت خالتى فستكون هناك فرصة لكى يرى أحدنا الآخر كثيرا.

عذبتها كل كلمة من كلمات جيوفرى وهو ينطق بها فى غير اكتراث ولكنه كان عذابا رقيقا.. عذابا حلوا، فقد تخيلت اديث الاقامة فى لندن كفرصة للهرب، ومحاولة للنسيان. ولكن القدر جمع بينهما قسرا وامتزج بتلك المرارة

arabicromance.com

فرح فجائى جنونى.

- ها قد وصلنا. الا تريدين أن أرافقك حقا؟... هل تشعرين بسوء؟ إن شحوب وجهك يقلقنى. ماذا بك؟

- أنا؟.. لا شىء.

واحتفظت الفتاة بمظهر غير مكترث وهى تبذل جهدا كبيرا. وعندما دخل القطار المحطة احست أنها تكاد تفقد هدوءها. وهبطت من القطار وخرجا من المحطة واستدعى جيوفرى سيارة اجرة، ولم تمد له يدها مخافة ان لا تستطيع حبس دموعها.

- إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

وحياها ثم أغلق الباب وانطلقت السيارة. وتبعها حتى اختفت عن عينيه، وارتسم فيهما وميض غريب، فلم يفته اضطراب اديث، ونسبه إلى سر خطير تحتفظ به بكل قوة وهو الوصية الاخيرة لفين، ويا له من تصرف عجيب للقدر، فقد حملت هذه المصادفة الانسة رينولدز الى خالته، وطبعا ما كان لمثل هذا الامر من الامور الا ليخلق موقفا لا يحتمل لو ان اديث لم تتكلم وتفسر نفسها بوضوح كلا. إنها لا تحبه.. سوف يكون كل شىء على ما يرام.

الفصل السادس

لقيت اديث كل الترحيب من مدم ترانتر وكانت قد أطلعت مضيفتها على خطبتها الاخيرة لجيوفرى واردفت أنه من الافضل ان تتحقق من خطئها قبل وقوع الزواج. ورأت هذه الصراحة مدام ترانتر فقالت فى أمانة:

- ان ابنتى وابن خالتها يتبادل كل منهما شعورا رقيقا واعرف انهما لم يعترفا لى بذلك قط ولكن كيف يمكنها الزواج ان كلا منهما فقير.

وادركت أديث من ذلك ان جيوفرى احتفظ بالسر الذى غير مجرى حياته. ثم جاءت اللحظة التى كانت تخشاها جدا فقد اضطرت الى ان تتعرف بلوسى ولكنها لم تتألم كثيرا كما كانت تخشى.

اذا كيف تنظر فى عداء الى تلك المخلوقة التى تشبه بفتنتها الرقيقة وجمالها الهش تمثالا من الخزف.. وقادت لوسى أديث الى غرفتها وعرضت عليها فى رفق ان

www.elromancia.com

تساعدها فى افراغ حقائبها.

وعندما تم لها ذلك صاحت:

- يخيل لى اننى أعرفك منذ وقت طويل فان جيوفرى حدثنا كثيرا عنك وبحركة تلقائية امسكت بيدى الوافدة الجديدة وقالت:

- اعرف انت كنت مخطوبة لجيوفرى وكنت استعد مسبقا لكى اكرهك.

ولكننى عندما رأيتك تلاشت كل ظنونى واحسست بالميل اليك.

اذن.. فلنكن صديقتين صدوقتين.

- اننى لا اتمنى غير ذلك فان خطوبتى مع ابن خالتك كانت مجرد اتفاق.

وتعانقت الفتاتان تصديقًا على تعهد صداقتهما. وانصرفت لوسى وهى تقول:

- سأتركك الآن لكى ترتدى ثيابك لدينا بضعة مدعوين للعشاء فقد رأت امى ان تبدأ فورا بتقديمك الى المجتمع واطمئنى فان ثروتك ستفتح لك كل الصالونات.

وعندما بقيت أديث وحدها تهالكت فوق مقعد وقد عجزت عن ان تتغلب على قشعريرة من الخوف. وا أسفاه!

فان شبح فين المنتقم يطاردها، كما يلح وخز الضمير على المذنب.. وكان هناك سؤال لا يزال تردده فماذا حدث للوصية الاخيرة؟

انها أنفقت حتى الان نصف المبلغ الذى وهبه لها وهو الالف جنيه فما العمل؟.. ان تتزوج؟ كلمة واحدة منها ويتزوجها سيريل روبنسون من غير ثروة ولكن كيف تستطيع ان تصمم على ذلك و هى لاتحبه.

وأخيرا، غالبت نفسها وارتدت ثيابها وهبطت الى الصالون. كان احد المدعوين موجودا فى تلك اللحظة مع مدام ترانتر ولم يكن غير روبنسون بالذات وألقى كل من الشابين صيحة تعجب فى نفس الوقت. وصاحت صاحبة البيت:

- هل يعرف كل منكما الآخر؟ هذا عجيب. ما اصدق المثل الذى يقول ان الدنيا صغيرة وانصرفت وهى تبتسم وتركتهما وحدهما وقال سيريل:

- ان حظى الجميل يقود خطواتى قال لى الخدم فى ماسنجهام انك تقضين الشتاء فى لندن، ولم استطع الحصول على عنوانك ولك ان تخمنى الخيبة التى احسست بها.

كان يتكلم دون ان يشعر باى ضيق وببساطة متسببا فى

www.elromancia.com

ايلام محدثته ولكن لحسن الحظ لم تلبث لوسى ان قدمت فحولت الموقف وهى تقول فى مرح:

- سيريل.. اراك فى كل مكان!

- ان حادثا تسبب فى لقائى بالآنسة رينولدز ومع ذلك فمازلت احتفظ له بذكرى جميلة.

ابتسمت اديث. احست باطمئنان اكثر رغم قدوم مدعوين آخرين وتلاشى حياؤها وارتباكها. ولعله على غير وعى منها اوحى اليها جمالها المتكلف شيئا وشخصيتها القوية بالثقة والامان.

وقادها مستر روبنسون الى مكانها وهو يقول:

- حتى فى اكثر احلامى طموحا وتمنيا لم احلم بان اكون فارسك.

- انت مجامل جدا.

- انا مجامل؟.. الا ترين كم انا صادق!

- ولكننى لا اعرفك الا قليلاً جدا.

- أما أنا فيخيل الى اننى اعرفك منذ وقت طويل واننى انتظرك.

خافت أديث من صوته خاصة عندما ضغط على يدها

خلسة ثم دون تمهيد راح يتكلم عن اشياء عادية. وكانت على وشك ان تقول له انه مغرور اكثر من اللازم، ولكنها شعرت من ناحية اخرى بالامتنان لهذا الرجل الذى يداوى باعجابه بها الجرح الذى أحدثه رجل غيره بكبريائها.

وبعد ان فرغوا من العشاء، احست بشىء من الانفراد بين هؤلاء الأغراب، وسارت سراً إلى البهو مباشرة. وكانت الخادمة تخلع المعطف عن رجل اقبل لتوه. والقت مس رينولدز اليه نظرة عابرة ولكنها توقفت على الفور وقد تسمرت فى مكانها وهى تقول:

- انت!

تقدم جيوفرى باسطا يده قائلا:

- اننى قدمت لكى ارى كيف تتأقلمين مع حياتك الجديدة.

ونظر الى الفتاة فاحصا فى جرأة، ثم اردف فى لهجة خفيفة:

- يبدو لى انك تكيفت معها فعلا هل تعاطفت مع خالتى المحترمة؟

- إننا نتفاهم جيدا جدا واتعاطف كثيرا مع لوسى هى الاخرى. سأعلنها بقدومك فسوف يسعدها ذلك.

www.elromancia.com

- انتظرى لحظة فليس هناك ما يدعو الى العجلة. انت ست ظريفة جدا.. اننى اتيت لكى اراك وتريدين مغادرتى هكذا حالا لندخل هنا فاننى اريد أن اتحدث اليك.

وفتح باب غرفة صغيرة وهو يتكلم ولكنها لم تتحرك فقال.

- هل أنت خائفة؟

- خائفة؟... ابدا.. ان ابنة خالتك..

- دعى ابنة خالتى وشأنها.. فاننى افعل بها ما اشاء.

- ليكن ولكنك لن تستطيع ان تفعل بى انا ما تشاء.

وأفلتت أديث منه وعادت الى الصالون وهى ترتجف، مطرقة العينين، متوترة الشفتين، تخشى ان يلحظ احد ارتباكها. كيف ستتمكن من السيطرة على نفسها عندما يدخل جيوفرى وسيدخل ما بين لحظة واخرى وسألتها مدام ترانتر فى اشفاق:

- هل تشعرين بالم يا ابنتى العزيزة؟ انت شديدة الشحوب.

- أبدا يا سيدتى.. اؤكد لك.

وانفتح الباب ودخل براون.. واطلقت لوسى صيحة

مرحة، وأسرعت إليه دون ان تهتم بالنظرات المتطفلة وهى تقول:

- ما هذا الغياب الطويل! اننا لم نرك منذ قرن أيه الشقى؟

وتعلقت بذراع الشاب مطوحة برأسها الى الوراء وقد أشرق وجهها بفرحة ساذجة ومرت اديث بكل عذابات الغيرة. ثم تقدم جيوفرى وحيا خالته التى عاتبته على غيبته الطويلة، ولكنها لم تلبث ان انصرفت بعيدا لبعض شئون البيت، تاركة الغريمتين بعضهما الى بعض، بعيدا عن المدعوين الاخرين واقترب جيوفرى من اديث وقال فى صوت خافت:

- مما يؤسف له انك لم تشائى ان تسمعينى فقد كنت اريد ان اطلعك على أمور مهمة.

لزمت الصمت مذهولة وهى تظن ان كل العيون تحدق فيها، وهمت بان تنهض عندما عاد يقول فى نفس اللهجة:

- ما دم الامر كذلك فسأعود غدا، بعد الظهر، فان خالتى وابنتها ستمضيان للاشتراك فى لعب البريدج فتعللى بالتعب وابقى هنا نعم سوف تبقين وسأحضر فى نحو الساعة الخامسة وستتناولين الشاى معى.

www.elromancia.com

- كلا، كلا. لن أبقى هنا.

وكانت ترتجف من فرط الغضب اما هو فلم يتخل عن هدوئه وقال:

- بل ستبقين.

ثم ابتعد دون ان يلوى على شيء.

بعد رحيل آخر ضيف غادر جيوفرى الغرفة مع لوسى والفت اديث نفسها بمفردها، وبقيت جامدة، شاخصة البصر، وغمرها يأس فظيع ولم تستطع حبس دموعها. ونسيت ان الشابين لابد انهما لا يزالان فى البهو، فخرجت وهى تعدو ومرت امامهما مطرقة الرأس وهى تبكى. وصعدت السلم مرة واحدة لكى تمضى الى غرفتها. وهناك راحت تبكى كما شاء لها البكاء. واستلقت اخيرا ونامت مرهقة.

وعندما استيقظت فى صباح اليوم التالى تذكرت الامر الذى اصدره لها جيوفرى. كان ذلك يبدو كتهديد مستفز وتحد فهل ستطيعه؟ ام ستتغاضى عنه. ومر النهار دون ان تصل الى قرار وفجأة واثناء تناول الغداء قالت لمدام ترانتر ولوسى انها تشعر بصداع ولن ترافقهما الى أصدقائهما. وكانت على وشك ان تتراجع مرات كثيرة ولكن قوة غريبة ارغمتها على السكوت.

وبعد الساعة الخامسة بقليل اقبل جيوفرى براون. وتبادلا التحية باليد وهما يبتسمان امام الخادمة التى لم تلبث ان اقبلت بالشاى. وعندما بقيا وحدهما سألها فى صوت غير ثابت النبرات:

- لماذا كنت تبكين مساء امس؟

هزت كتفيها واجابت:

- لا اتذكر. لا ريب انك تتمتع بحاسة شديدة للملاحظة.. رغم انشغالك بشيء آخر.

- هل تظنين اننى كنت اغازل لوسى؟.. كلا حقا. وان كان يجب أن أفعل.

وهتف يقول فى عنف:

- وإذا كنت لا اكترث بها فالذنب ذنبك.

- ذنبى أنا؟.. هل جننت؟

انفجر يضحك فى مرارة وقال:

- طبعا فمنذ خمسة عشر يوما وعقلى يشرد.

وراح يذرع الغرفة فى خطوات عصبية ووجدت اديث رغم شدة اضطرابها فرصة لتغيير الموقف، فبدأت بصب الشاى، ولكنه اقترب منها وانتزع الفنجان من يدها وألقاه فوق

www.elromancia.com

الصينية وقال:

- لا ريب انك ستضحكين منى ومع ذلك فلم اكن اكثر صدقا مما انا الآن.. اديث اننى احبك فهل تريدين ان تكونى زوجتى؟

خيم صمت ثقيل حدقت أديث فى بادىء الامر فى تلك اليد الثابتة التى تقبض على معصمها كالكلابة، ثم رفعت عينيها شيئا فشيئا وقد بدا فيهما سحر غامض لتقعا على وجه الشاب الشاحب وكان يخال ان شرارة ستنبثق من تصادم هاتين النظرتين وتحررت فجأة وقالت:

- و.... ولوسى؟

- استطيع ان افعل بلوسى ما اشاء الم اقل لك ذلك.

- بأن تحطم قبلها.

- لا داعى لهذه الكلمات الكبيرة. ومهما يكن فأنت وحدك المذنبة، ولعل ذلك لكى تعاقبيننى.

- أنا لا افهمك.

- إنك سحرتنى، وأنا احبك رغما عنى.. وعندما طلبت منك ان تتزوجينى، فقد كان ذلك بسبب ثروتك بالذات.. ولكن وجهك المبلل بالدموع طاردنى طول الليلة الماضية، وانا لم اعد اسعى وراء أموالك، بعد أن اصبحت موفور المال

شخصيا. ومرة اخرى هل تريدين ان تتزوجينى؟

بدا كأنها تغيرت وتحولت الى تمثال، وانها لا تكاد تفهم... كان يكذب.. كان يكذب، فهو مخطوب تقريبا للوسى.. وامسكها جيوفرى من كتفيها وقال:

- ردى على وترفقى بى.

نطقت اخيرا وقالت فى مشقة:

- اننى اعتبر طلبك هذا فى الظروف الحالية اهانة.. إن للوسى حقوقا عليك.

- وسأتزوجها بالتأكيد إذا أنت اقصيتنى عنك. ماذا ستفعلين يا اديث؟ ان الالف جنيه لن تدوم الى الابد؟

اطلقت صيحة مختنقة كان يعرف اذن؟.. وافقدتها الدهشة صوتها وقال:

- لا تخشى شيئا فانا لست خائنا.

- ماذا تريد اذن؟

- أريد ثقتك. لم افعل شيئا بالطبع لكى استحقها. اما بخصوص وصية فين الاخيرة فقد عرفت بامرها فى نفس اليوم الذى اتيت اطلب الزواج منك فى ماسنجهام بعد موت خالك.

www.elromancia.com

- وماذا حدث للوصية؟

لم يفهم التلميح الجارح وقال:

- عثرت عليها صدفة ودفعنى الفضول لقراءتها وما كنت لاحدثك عنها اليوم لو لم يداخلنى الامل فى انك قد تقررين مصيرى.

ولكن بدا كما لو ان اديث لم تكن مصغية اليه لانها عادت تقول:

- ماذا حدث لها؟.. هل اتلفتها.

اصطبغ وجهه وقال:

- أنا؟.. انك تخرفين لقد وضعت هذه الورقة اللعينة مكانها على الفور.

وكان هذا هو الواقع، فقد تذكرت ذلك الآن كانت قد اخفت الوصية فى خزانة الثياب فى تلك الليلة واكتشفت اختفاءها بعد بضعة ايام من ذلك. ومن غير ان تفكر فى الاعتذار.. من فرط عنف خزيها تمتمت تقول:

- إننى فقدت عقلى ولم يسبق ان اقدمت على مثل هذا العمل المشين ابدا لم اكن اهدف الا الى مهلة والى بعض الوقت واقسم على ذلك وكنت سأكشف الحقيقة بعد ذلك واطلع الجميع على آخر نوايا خالى.

- هل ضاعت هذه الوصية؟ لا يشغلنك الامر، فانها لم تضع ولا يعلم بأمرها احد غيرنا.

- لا استطيع الاستمرار فى الاستمتاع بثروة ليست ملكى. إننى اخفيت هذه الوصية فى خزانة ثيابى ولا استطيع ان اعثر عليها.

- تخلى عن هذه الثروة وتزوجيننى.

- لن أتزوجك.

قال جيوفرى فى لهجة جافة:

- إن التقلب من سمات المرأة.

ولكن الوميض الذى بدا فى عينيه كذب هدوءه الظاهر وردت عليه قائلة:

- لك أن تهزأ بى كما تشاء ولا ريب اننى اوحى اليك الآن بالازدراء بعدما عرفته عنى. ومع ذلك فاننى ارفض القيام بالعمل الدنىء الذى تطلبه منى أن انتزع من امرأة اخرى الرجل الذى تحبه.

صاح جيوفرى وهو يأخذها بين ذراعيه.

-اذن فانت لا تكرهيننى يا اديث.. نعم اننى اعرف ذلك اننى تصرفت بعد موت دادلى فين تصرف الوغد الجبان،

www.elromancia.com

واستحق ازدراءك ولكن ثقى بى، لم توح الى امرأة ابدا بمثل ما توحين انت لى.. سأسعدك وانسيك الماضى.

وانحنى فوقها، ولكنها أقصته عنها فى قوة وقالت:

- كلا.. كلا.. دعنى. ولوسى.. تلك المسكينة؟ ماذا سيخطر لها.

- هى نفسها لن ترضى أن تتزوجنى أبدا بعد ان تعرف أننى احب امرأة غيرها.

ومرت لحظة، بدت كأنها أطول من قرن، تخاذلت فيها اديث، ولكن وجهًا مشرقا لفتاة. يجمله انتظار السعادة ظهر امام عينيها فى لحظة خاطفة، فتمالكت نفسها وقالت:

- كلا، كلا، لا يجب ان تعرف.

تأوهت قائلة:

- أوه، انصرف الآن.

- توخى الحذر، فأنا لن أعود.

أدارت رأسها، رابطة الجأش، وفى بطء، وفى صمت، غادر الرجل الذى تحبه الغرفة.

تهالكت اديث فوق الاريكة، وبقيت خائرة القوى، وقد دفنت وجهها بين يديها.

صوت حديث صادر من البهو ايقظها من فتورها، ودخلت مدام ترانتر بعد قليل وهتفت:

- ماذا بك يا ابنتى العزيزة؟ انك شاحبة، كان يجب ان تأخذى قرصا من الاسبرين، فأننى لا أريد ان يرى ضيوفى هذا الوجه الممتقع، فان ذلك لا يليق بكرامتى، اصعدى الى غرفتك وتمددى حتى وقت العشاء.

اطاعتها اديث دون اعتراض، وقد أسعدها ان تفلت من اهتمام مزعج. واستلقت فوق فراشها، واطبقت عينيها وقد أضناها الألم، وعجزت عن التفكير، وفاجأها أول رنين لجرس العشاء وهى على ذلك الوضع، فسارعت بالنهوض عندما سمعت طرقة على الباب.

- ادخل.

وكان الطارق لوسى، فقالت لها:

- آسفة لتأخرى، كنت اوشك على ارتداء ثيابى، لماذا لم يوقظنى أحد.

- بل إن امى - على العكس - تطلب منك ان لا تتحركى، ستأتيك الخادمة بالعشاء.

والقت الفتاة ذراعيها حول عنق صديقتها الجديدة، وهى تتمتم فى منتهى السعادة والغبطة:

www.elromancia.com

- أردت ان أقول لك.. لم أعد أستطيع، تعلمين ان جيوفرى كان يجب ان يأتى هذه الليلة، حسنا .. انظرى.

ورفعت يدها اليسرى وفى اصبعها الرقيقة رأت اديث الخاتم الذى سبق ان رأته كثيرا فى اصبع جيوفرى.

- إننى ألبس هذا الخاتم فى انتظار خاتم الخطوبة... سنتزوج قريبا .. اوه يا عزيزتى!... ما أسعدنى!

الفصل السابع

لم تر أديث جيوفرى فى صباح اليوم التالى ولا فى الأيام التالية، رغم أنه جاء كثيرا الى بيت خالته، ودبرت امرها لكى تتحاشاه، فان اعترافات لوسى الساذجة واعدادات الزواج، كانت تشغل كل الاحاديث، جعلت حياتها مريرة جدا، ولم تشأ أن تضيف إليها مرارة أكثر.

وضاعف سيريل روبنسون زياراته لآل ترانتر، واصبح الجميع يعرفون لماذا يقوم بتلك الزيارات المتعددة.

وسألت لوسى صديقتها ذات مرة:

- هل ستتزوجين سيريل؟.. أنا فضولية طبعا، ولكنه واضح أنه مغرم بك، ويريد جيوفرى دائما أن يعلم اذا كنت تفكرين فى الزواج «بهذا الأحمق روبنسون».. أننى اردد كلماته بالذات، وهى كلمات غير مجاملة لذلك الشاب المسكين.

- أننى لا افكر فى الزواج يا صديقتى العزيزة.

- هذا أمر مؤسف، فقد كان من الممكن ان يكون هناك

www.elromancia.com

زواج مزدوج، بدلا من زواج واحد.. ولكن ساعتك سوف تأتى يا اديث، فالحياة جميلة جداً.

وهكذا كانت لوسى تعيش فى عالم من الأحلام، غير مدركة بالحقائق المكدرة، ولا بأحزان الارض، و كانت اديث تقول لنفسها فى فرحة معتمة بان انتزاع جيوفرى منها سيكون جريمة.

وبينما كان جيوفرى ماضيا الى بيت خالته اصطدم بعابرة عند منعطف الطريق، وهم بأن يعتذر لها عندما عرف اديث فقال:

- إننى لم ارك منذ ثمانية أيام.

نظرت اليه مواجهة، والعبارة اللاذعة التى همت بالنطق بها، ماتت على شفتيها، فكم بدا حزينا مرهقا، ورأت فى عينيه انعكاس عذابها هى بالذات، وعاد هو يقول :

- إنك تحاشيتنى باصرار.

- ولماذا أتحاشاك؟ ان القدر أراد ان اكون بالخارج.

- عفوا، كنت تهبطين السلم أمس، وعندما رأيتنى فى البهو نكصت على عقبيك.

كان يقول حقا، ولم تحاول الانكار، وعندئذ صاح جيوفرى فى حدة.

- هذا ما تريدين ان تفعليه بى اذن؟.. لن نلبث انا ولولسى ان نجد نفسينا مكبلين فى نفس الحلقة، أيرضيك ان تفعلى هذا بنا؟

- وهل طلبت منك ان تتزوجها؟.. ألم افاجئكما خلف السياج فى ذلك اليوم المشئوم؟ ألم اسمع احتجاجاتك؟ قلت انك مضطر الى ان تتزوج زواج مصلحة، وان الضرورة...

كست وجه الشاب حمرة خزى وقال:

- كفى... كفى.. ليس من كرم الأخلاق ان تذكرينى بذلك.. إننى رأيت نفسى بوضوح منذ... ولكننى أضايقك... والوصية؟..هل وجدتها؟ ها انذا اخرف، فأنت لا تستطيعين العثور عليها هنا.

- ولهذا سأعود إلى ماسنجهام وابحث عنها من جديد،، وإذا لم تثمر ابحاثى فسأمضى الى محامى خالى، واذكر له الحقيقة.

- وينتهى بك الأمر إلى ان تتزوجى من روبنسون.

- هذا جائز.

وخيم صمت شاق، ثم تمتمت اديث:

- إن لدى عملا أريد إنجازه، فالى الملتقى.

تظاهر جيوفرى بأنه لا يرى اليد التى بسطتها اليه، وبقى جامد الحركة وهو ينظر الى تلك التى يحبها وهى تبتعد

www.elromancia.com

وتختفى، وما دامت ستمضى الى ماسنجهام فقد قرر على الفور أن يتبعها، فان اللقاءات الطارئة، اسهل بكثير فى الريف، وكان مستعدا فى أنانيته.. على اجتياز كل العقبات للاقتراب من الآنسة رينولدز، فى حين انه لم يمنح لحظة واحدة من تفكيره فى الصغيرة المسكينة لوسى.

وتلقت اديث فى بريد المساء رسالة من نوراماندر.

كتبت ابنة القسيس تقول لها:

«عزيزتى، ان المدينة كلها لا حديث لها إلا عن ذلك. فهناك شائعة فى ان ج.براون سيتزوج ابنة خالته، فقولى لى الحقيقة يا أديث، كيف يمكنك ان تريه باستمرار فى بيت آل ترانتر، اننى لا افهمك. هل يجب ان استنتج انك نسيت كل شىء، اننا لم نعد نراك فى ماسنجهام. الى الملتقى، كما ارجو.

صديقتك المخلصة نورا»

واجابتها بالنص التالى على الفور:

«سأقضى بضعة أيام فى بيتى يا صديقتى العزيزة وسأصل يوم السبت، فتعالى للبقاء معى بضعة أيام، سوف يسرنى ذلك كثيرا.

أما بخصوص الانباء التى تدور عن جيوفرى براون فهى صحيحة تماما، وأنا على علاقة طيبة جدا بخطيبته، وطبقا لكل الاحتمالات سأكون من بين آنسات الشرف.

تحياتى لك. اديث».

سرعان ما ندمت اديث على دعوتها لنورا، فان هذه الاخيرة كانت من تلك الطباع السطحية عديمة الحيلة، وتعتمد على الآخرين لكى يقدموا لها الزاد الضرورى لعقل متعطل، لم تكن تتيح دقيقة واحدة من الحرية للآنسة رينولدز، ومن المستحيل ان تقوم بابحاث جديدة اثناء وجودها، واحزن ذلك اديث فهى لم تكن تفكر إلا فى الوصية، واصبح الوسواس اكثر اهمية، وسمم امسياتها وطاردها فى لياليها.

وذات يوم، بينما كان يقومان بالتسوق فى القرية، كانت نورا أول من رأت جيوفرى وهو قادم للقائهما، فأمسكت بذراع صديقتها وهى تمتم فى صوت درامى:

- انظرى.

تمالكت اديث نفسها، وضغطت على يد براون فى هدوء تام، وتبادلا بضع كلمات تافهة، وقال الشاب أخيرا:

- إننى وصلت مساء أمس، ولو لم تصب لوسى بزكام لرافقتنى هى وامها حتى نتشاور عن الاصلاحات التى يجب ان نجريها فى بيتنا الصغير العتيق، وهو كما تعرفين «دقة قديمة» بالنسبة لعروسين جديدين، متى تعودين الى لندن؟

وكان وهو يتكلم يلقى الى اديث نظرة حادة.

www.elromancia.com

- سأمضى هنا اسبوعا.

- أه.. وأنا ايضا سوف نلتقى فى بيت خالتى الفاضلة.

وحيا الفتاتين فى ادب، وابتعد فى خطى سريعة، ولزمت اديث الصمت وقد عزبها ألم فظيع لمجرد ان فكرة لوسى ستفد وبعد قليل زوجة جيوفرى، وانها ستأتى للاقامة فى ماسنجهام.. زوجته.. نفذت هذه الكلمة الى قلبها كالسيف، ولكن وجهها ظل ثابتا لا يدل على ما يدور بها من انفعال، وكانت نورا - وهى غير حادة الذهن - قد دهشت لمثل تلك اللامبالاة، بل انها أحست بخيبة امل لأنها توقعت مشادة ميلو درامية، وحاولت مرات كثيرة ان تحمل صديقتها الى الحديث عن آل براون، ولكن راح كل جهدها عبثا.

وبعد العشاء تعللت اديث بالصداع وانفردت فى غرفتها فى وقت مبكر، مسرورة لعدم البقاء وحدها مع نورا، وعندما الفت نفسها وحدها فى غرفتها، جلست امام النار وبقيت مكانها مدة طويلة، نظرتها بعيدة، جامدة الحركة وحالمة.

كانت قد تلقت فى بريد الصباح رسالة من سيريل روبنسون يطلب فيها الزواج بها، فقد أدهشه رحيلها المفاجىء فى نفس الوقت الذى كان ينوى ان يصرح لها بمشاعره نحوها ويطلبها للزواج دون انتظار.

نعم، جميل طبعا ان تفكر ان هناك رجلا يحبها، آه. لو أن

تستطيع ان تنتزع من قلبها ذلك الحب المستحيل.. أمنية سخيفة كانت تعرف عدم جدواها، ولم تشعر بأى تردد وانما بمجرد ندم ثم لم تعد تفكر إلا فى التخفيف فى رفضها له.

وقبل ان تأوى إلى فراشها، حاولت مرة أخرى ان تبحث عن الوصية، وفتشت كل ركن وكل ناحية فى خزانة الثياب، ولكن دون اية نتيجة، وانهكها التعب فاستلقت فوق الفراش كئيبة ويائسة.

أما نورا فقد كانت خالية الذهن، هادئة الضمير، فنامت بمجرد أن القت برأسها فوق الوسادة، وكانت غارقة فى نوم عميق عندما هبت فجأة مذعورة فى نحو منتصف الليل، فقد انفتح باب غرفتها فى بطء وتسلل منه شعاع من النور وامتد فوق الباركيه، وهمت نورا بان تصرخ مذعورة عندما عرفت اديث.. اديث فى منامتها، حافية القدمين، وفى يدها مصباح كهربى صغير.

- آه.. أنك اخفتنى.. كنت..

وماتت الكلمات على شفتيها، وادركت ان الآنسة رينولدز تسير وعيناها مفتوحتان على اتساعهما، ولكنها نائمة، واتجهت هذه الاخيرة دون تردد نحو دولاب وتظاهرت بأنها تنير لنفسها المكان بالمصباح الكهربى.. فتحت الدولاب ودست يدا تحت علبة من الكرتون من العلب التى يزدحم بها احد الرفوف، ولم تلبث أن سحبت ورقة مطوية طيتين ضمتها

www.elromancia.com

لحظة الى صدرها ثم غادرت الغرفة فى خطوات ثابتة.

تغلب الفضول على خوف نورا، فهبت واقفة من فراشها وقد استقر منها العزم على ان تتبع الزائرة الغريبة، حيث تمضى، وهبطتا السلم، الواحدة خلف الاخرى، واجتازتا البهو، ودخلت اديث غرفة المكتبة، ولم تكن درفتا الشباك الكبير مغلقتين، وكانت الحديقة تظهر من خلاله بوضوح تحت ضوء القمر الساطع. ومضت اديث رأسا الى المكتب ودست الورقة بين صفحات كتاب، ثم غادرت الغرفة بنفس الخطوات الثابتة.

وكانت نورا ميتة اكثر منها حية، ولكن رغبة عنيدة استولت عليها لكى تعرف السر فوجدت مفتاح النور وهى تتحسس الجدار واضاءت الغرفة، وانتظرت حتى صعدت اديث السلم ثم اسرعت بقراءة الورقة الغامضة: هذه وصيتى الاخيرة.

وعندما فرغت من قراءتها أحست بأنها غدت بطلة احد المسلسلات، واجفلتها طرقة على الشباك فاستدارت، ورأت تحت النور الفضى للقمر رجلا طويل القامة يظهر امامها، ولم يكن غير جيوفرى براون، وقال:

- افتحى يا آنسة والا حطمت الزجاج، وستجذب الضجة الجميع ويجدوننا هنا سويا.

أنت بقميص النوم، فى مثل تلك الساعة، وبرفقة شاب..

ما أفظع هذا، لم تتردد لحظة واحدة وفتحت بيد مضطربة. ودخل جيوفرى عامدا، وقال فى ايجاز وبدون مقدمات:

- اعطنى هذه الورقة.. ارجوك.

ارتدت وقد توترت اصابعها على الوصية، ومر براون خلفها واغلق الباب الذى يفضى الى البهو واعتمد عليها وقال:

- لن تغادرى هذه الغرفة إلا بعد ان تعطينى هذه الورقة.

- واذا رفضت.

- وفى هذه الحالة، سأدق الجرس لكى اوقظ الخدم.

راحت نورا تبكى وتقول:

«انت جبان.. جبان.. آه، كنت على حق فى ان اتوخى منك الحذر، ولكنها احست بأنها مغلوبة على امرها امام مثل هذا الخصم، ولم يلبث جيوفرى ان اصبح مالكا للورقة، وامر ضحيته بان تغلق النافذة خلفه، وبعد ان فعلت عادت الى الفراش الذى لم يكن يجب ان تغادره وهى تذرف دموع الحقد والغضب.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

فى صباح اليوم التالى، صرحت نورا فى ارتباك بأنها تريد ان تمضى لرؤية امها وانها ستعود بعد الغداء، وسر أديث ذلك لانها ستجد بعض الحرية فلم تحاول احتجازها وهى تلوم نفسها فى اكتئاب معتقدة ان صديقتها كانت تشعر بالضجر فى ماسنجهام.

وللمرة المائة فتشت الآنسة رينولدز خزانة الثياب وادراج ودواليب غرفتها وارهقت نفسها فى ابحاث مضنية، كانت لا تزال تبحث فى جهد كبير عندما جاءتها الخادمة واخبرتها ان مستر براون ينتظرها فى الطابق الأرضى، ويريد ان يتحدث اليها دون ابطاء فأمرتها بان تقول له بانها ستهبط على الفور.

وأحست وهى ترتدى ثوبا وتتجمل امام المرآة، وتمر بالبدارة على وجنتيها الملتهبتين بان مصابا وقع، وكان جيوفرى ينتظر فى غرفة المكتبة، وكان واقفا عندما دخلت، يعتمد بظهره على حافة المدفأة، وهو مستغرق فى افكاره،

وتقدم على الفور وقال:

- التمس معذرتك لا زعاجى اياك.

- هل لوسى مريضة؟

بدت عليه الدهشة وقال:

- إننى تركتها مزكومة بعض الشىء، وليس هناك ما يقلق ابدا، كلا، انا لم أت لكى احدثك عنها، ولكننى سأنبئك بامر مزعج جدا.

- وما هو ؟

- عثرت نورا ماندر على الوصية الأخيرة لدادلى فين.

- نورا؟.. هذا مستحيل.. مستحيل.

- ومع ذلك فهذه هى الحقيقة.. اين هى؟

- فى القرية. مضت لكى ترى أمها.

ابتسم ابتسامة ساخرة وقال:

- هذا ما كنت اخشاه، اسمحى لى الآن بان ألقى عليك سؤالا.

- أى سؤال؟، وما معنى هذه المقدمة؟

واذ رآها وقد اصفر لونها، أرغمها على الجلوس وقال:

www.elromancia.com

- ألم يفاجئك احد أبدا بأنك تسيرين ليلا وانت نائمة؟

- أنا؟

- لا تنزعجى هكذا، واصغى الى دون مقاطعتى.. دخلت الحديقة مساء امس فى نحو الساعة الحادية عشرة والنصف، ورحت اتمشى تحت نوافذك، آه، كانت فكرة جنونية، سخيفة، كنت اتمنى ان اراك، ولم تكن درفتا الشباك الذى بغرفة المكتبة مغلقتين.. ورأيت نورا خافتا داخل الغرفة فتوقفت وقد استولت على الحيرة، واقتربت، ورأيتك وعيناك مفتوحتان على سعتهما ولكنك غائبة عن الوعى، كنت تمسكين مصباحا كهربيا فى احدى يديك، وورقة فى يدك الأخرى، وبعد ان دسست الورقة بين صفحات كتاب ابتعدت، وعندئذ ظهرت الآنسة ماندر، ولا ريب انها تبعتك بكل تأكيد، واضاءت النور وأخذت الوصية، لا تنزعجى يا اديث، فان هذه الوصية الشهيرة لابد أنها طاردتك فى احلامك، فاخذتها من خزانة ثيابك واعدتها الى غرفة المكتبة، وقد وقعت حالات كثيرة مماثلة، تحت تأثير وسواس شديد.

أطلقت الفتاة أنينا خافتا وقالت:

- رباه.. رباه!.. إننى كنت شديدة الاتزان دائما، ولم يقع لى اى اضطراب عصبى، وهذا السر الفظيع فرض نفسه على ذهنى الى حد أنه اصابنى بالوسوسة، فماذا سيكون من

امرى؟

القى جيوفرى بالورقة المشئومة على ركبتى الفتاة وقال:

- إننى اعرف نورا ماندر، وقد حرصت على ان انتزع منها ما وجدته.

اشتد شحوب اديث وقالت:

- ولكنها ستروى ذلك لكل القرية.

-هذا أمر طبيعى.

صاحت وهى فى منتهى اليأس:

- اوه يا جيوفرى.. جيوفرى..

- امازلت تحتقرينني كما كنت تفعلين دائما؟..آه.. اننى لأفديك بحياتى لكى ابعد عنك هذا الخطر.

لم تدهشها لهجة الشاب رغم اضطرابها، وارادت ان تهرب، ولكن براون كان اسرع منها فامسك بيديها الاثنتين وقال:

- لا تخشى شيئا، واستمعى الى يا عزيزتى، استمعى الى جيدا.. هل تظنين اننى كنت اقدم هنا لو ان هذه الدساسة استطاعت الحاق الاذى بك.. صدقينى.

وامسك عن الكلام فجأة لان الباب انفتح ودخل منه

www.elromancia.com

القسيس ماندر، وخيم صمت ثقيل عقب هذا الدخول المسرحى، وكان جيوفرى لايزال ممسكا بيدى اديث:

- ثبت القسيس نظارته فوق عينيه، وتنحنح وقال فى صوت قاس النبرات:

- اريد ان اتحدث الى الآنسة رينولدز على حدة.

- إننى آسف، فلا بد ان تتقبل وجودى، على انى لا اجهل الغرض من زيارتك، وكسبا للوقت ارجو ان تحاط علما بالوصية.

وحرر جيوفرى يدى اديث واشار الى الورقة، وكانت قد انزلقت فوق السجاد عندما نهضت، وتردد مستر ماندر لحظة ثم انحنى فى وقار والتقط الورقة، وفحصها بدقة تامة ثم قال:

- عظيم.. عظيم.. اننى اتيت كصديق للآنسة رينولدز لكى اعرف ماذا يمكنها ان تقدم لى من ايضاحات.

- لو انك قرأت النص بعناية فيجب ان تكون الحقيقة قد اتضحت لك بما يكفى، ولك ان تعلم اننى قبل قدومى هنا هذا الصباح عرضت الوصية المذكورة على محامى الفقيد دادلى فين، وكان قاطعا فى هذه النقطة، فان الوصية لكى تكون نافذة المفعول يجب ان يوقع عليها شاهدان، وهذه

الوصية لا تحمل الا توقيع الموصى وحده، وهى بذلك ليست نافذة المفعول، والاكثر من ذلك ان الوصية لكى تكون نافذة المفعول يجب ان تحرر على ورقة مدموغة، وانت ترى..

ولم يكمل جيوفرى حديثه، ولم يسعفه الوقت إلا لكى يعاون اديث على الوقوف، وكانت توشك ان تقع، مغمى عليها.

ولم يجد مستر ماندر ردا مناسبا فغادر الغرفة بكل وقار ممكن.

واذ بقى جيوفرى وحده، مدد اديث فوق السجادة، وراح يربت على وجهها، فلم تلبث ان فتحت عينيها، وما ان عادت الى رشدها حتى انفجرت تبكى.

وقال الشاب فى صوت حاول ان يجعله هادئا:

- اديث!

ولكنه لم يستطع ان يستمر على هدوئه، فبحركة مفاجئة ارتمى عند ركبتى الفتاة وضمها بين زراعيه و هو يضغط الرأس الجميلة المستسلمة على كتفه.

- نعم، اننى كنت قاسيا، كنت اعرف الحقيقة منذ البداية، وكنت اعلم ان مثل هذه الوصية لا يمكن ان تكون نافذة المفعول، وكنت انوى ان اعترف لك بذلك بعد الزواج، ولكنك اقصيتنى عنك، وبدأت احبك عندئذ، اردت ان

www.elromancia.com

اعاقبك بان اتركك لا تعرفين الحقيقة، فاصفحى عنى يا ملاكى.. انك تحطمين قلبى.

حاولت ان تفلت قائلة:

- كلا، كلا، إننى اتمنى الموت.

وعندئذ رفع وجهها المبلل بالدموع بالقوة، وراح يتأمله كما لو انه يجد فيه بزوغ فجر أمل رائع وقال:

- أديث.. هل تحبيننى؟

حاولت أن تقول «كلا» ولكن شفتيها أبتا النطق بكذبة وصاحت فى عنف:

- نعم.. إننى أحببتك دائما.. لأجلك أنت أردت أن أكون غنية.. لأجلك أنت أخفيت الوصية. فكرت أنك لن تتزوجنى إذا علمت أننى حرمت من الميراث.. رباه، أنا مجنونة، فدعنى.

شدد ضغطه عليها وقال:

- لن اتركك تتهربين أبدا.

وفجأة حدقت فيه فى فزع وقالت:

- ولوسى؟

- لوسى.. سأقول لها الحقيقة، وستفهم انه يستحيل على

الوفاء لها بوعدى.

- كلا.. إن هذا كفيل بأن يقتلها، واننى أمنعك من ذلك.

- فكرى، أرجوك.

- أننى فكرت تماما.

- أنت قاسية يا اديث.

- الوداع.

واضطر ان ينصرف بعد هذه الكلمة.

ولم يزعزع الليل قرار الآنسة رينولدز، ورحلت فى صباح اليوم التالى الى لندن من غير ان ترى جيوفرى.

وبدت الدهشة على وجه الخادمة وهى ترى اديث وقالت:

- لم تكن سيدتى تنتظرك حالا هكذا يا آنسة.

- وكيف كان يمكن لمدام ترانتر ان تنتظرنى؟ إننى لم أخطرها بعودتى.

- ان سيدتى قد ارسلت برقية هذا الصباح الى قصر ماسنجهام.. ألم تتلقيها؟.. ان الآنسة لوسى مريضة جدا، فان زكامها الخفيف تحول الى التهاب رئوى.. والطبيب..

- هل اخطرتم مستر براون؟

www.elromancia.com

- نعم، ببرقية هذه الليلة.

وتحت تأثير هذه الصدمة الجديدة، بقيت اديث فى البهو جامدة لا تتحرك، صامتة ومتجمدة، وفى هذه اللحظة طرق الباب العمومى، وكان القادم جيوفرى، ورفع الى الفتاة وجهًا شاحبا شحوب الموتى، وتلاقت نظراتهما، وهم بان يمضى إليها كما لو ان مغناطيسا يدفعه ولكنه تحول فجأة وارتقى الدرج.

ومرت ساعات قاسية، ساعات انتظار منفردة ومثقلة بالقلق، وأخيرا جاءت مدام ترانتر وهى تنتحب لكى تبحث عن اديث، التى استطاعت ان ترى للحظة خاطفة وجه الفتاة الهزيل النحيل.

ومنع الطبيب اى اهتياج، واية اثارة، وفى نحو منتصف الليل ازدادت حالة لوسى خطورة، ولم يعد هناك اى امل لانقاذها.

ولم تنم اديث تلك الليلة، تكومت حزينة، وسهرت فوق البسطة، منعتها رقة ضمير من دخول الغرفة حيث تخبو تلك التى لم يطاوعها قلبها على ان تغدر بها.

وتسللت اولى اشعات الفجر من خلال درف النوافذ عندما انفتح الباب، وظهر جيوفرى، شاحب الوجه، وخطير القسمات، وعلى سؤال الآنسة رينولدز الصامت اجاب فى صوت ثابت.

- نعم. انتهى الامر. ماتت لوسى وهى تبتسم.. اعتقدت اننى احبها، واقترب منها وضغط طويلا على يدها المرتعشة، ثم هبط من غير ان يلتفت.

ما ان رافق جيوفرى لوسى الى مثواها الأخير، حتى ارتحل فى سفر، وفى صباح اليوم التالى تلقت اديث كلمة وجيزة منه يبدو فيها انفعال كامن:

«سابتعد بعض الوقت، وادين بذلك لذكرى خطيبتى، وسوف تفهمينني يا صديقتى العزيزة، ذات القلب الرقيق والكريم، فانتظرينى.

جيوفرى».

ولم تشأ اديث ان تترك الأم الثكلى، واحاطتها برعايتها ومحبتها وساعدتها على تحمل مثل ذلك الحزن الكبير، وكانت كل منهما تتكلم فى رفق عن الفقيرة الصغيرة الرقيقة والفاتنة، والضعيفة جدا.

وذات يوم، اعلنت مدام ترانتر، وهى على مائدة الافطار اديث بعودة ابن اختها وقالت:

- انه كتب الى يقول انه سيكون هنا قريبا. يا للفتى المسكين. لقد فرض على نفسه ستة شهور فى المنفى.

واذا بدأ الاضطراب على اديث اردفت المرأة الفاضلة

www.elromancia.com

تقول:

- اننى خمنت منذ البداية ايتها العزيزة انه يحبك انت، وانه لا يحب ابنتى المسكينة، واعرف ايضا انها لو بقيت على قيد الحياة، فانك ما كنت لتسلبينها سعادتها، ولهذا السبب استطيع ان اقول لماذا، دون اى قصد سيىء منى، اننى مسرورة لسعادتك.

وبعد يومين من ذلك دخل جيوفرى الصالون الصغير حيث تنتظره اديث.

بدا ان المحن التى مر بها قد زادته نضجا، وان عدم مبالاته السابقة تبدلت الى وقار شديد، اما هى فقد بدت له مضطربة قليلا، وقد توتر وجهها تماما من الانفعال وغدا اجمل مائة مرة عن ذى قبل، لم يعد يفرق بينهما اى عائق، وما هى الا لحظة واحدة حتى كان كل منهما بين ذراعى الآخر.

وتمتم جيوفرى بين قبلتين:

- حبيبتى، ها قد اجتمع شملنا.. إلى الأبد. ان حياتى ملك لك.

وفكرت اديث وهى مطبقة العينين فى اللحظة المفجعة التى صاحت تقول فيها، «سوف يحبنى».